

37

روايات عالمية للجيب

Looloo

www.dvd4arab.com



مقدم : هـ . ب . لافكرافت  
ترجمة وإعداد :  
د. أحمد خالدة توفيق

خلف جدار النوم

## المؤلف

من جديد نعاود الحديث  
عن ( هـ . ب . لافكرافت ) !  
أعتقد أن ما ذكرناه في الكتيب  
السابق كان واقفياً إلى حد ما ،  
لهذا نعيد نشره هنا من  
جديد ، فقط لمن لم يقرءوا  
الكتيب السابق ..



( هـ . ب . لافكرافت ) مدرسة متفردة من مدارس  
أدب الرعب ثقيل الوطاء ، وهي مدرسة قد لانجد لها  
شبيهها إلا عند أمريكي آخر هو ( إيجار آلان بو ) .  
كلا الأدبيين ينتمى أساساً إلى مدرسة كبرى من  
مدارس الأدب الرومانسى ؛ هي الرعب القوطى ..  
أى الرعب الشبيه بعوالم الكوابيس بالضبط .. رعب  
الغموض ، والقلاع المظلمة ، والبروق والرعود ،  
والشرور المستطيرة ، والنفوس المعقدة المجنونة ..

## روايات عالمية العجب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أدوع ما يزخر به الأدب  
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..  
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..  
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..  
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..  
ومن الشرق إلى الغرب ..  
 وإلى الحضارة ..  
 وإلىك ..

د . تيسيل فاروق



ومن أدباء هذه المدرسة ( ماري شيللى ) و ( ماتيورين )  
و ( برام ستوكر ) و ( م. لويس ) و ( آن رادكليف ) .  
لكن ( لافكرافت ) استطاع أن يضيف على الرعب  
شاعرية أدبية معقدة ، مع خلفية من الهواجس  
النفسية المظلمة ذات مذاق خاص ، حيث الخطر  
ينبع من الداخل كما ينبع من الخارج . وصارت له  
مفردات عالمه الخاصة التي يعرفها قراؤه كأسمائهم  
مثل : ( نكرومونيكون ) - ( كتولو ) - ( آر خام ) -  
( أزوث ) - ( العزيز Azif ) - .... إلخ ، والملاحظ  
أنه يشير إليها في أكثر من قصة حتى إن كثيرين  
صاروا يعتقدون أنها حقيقة .. وفي بعض خطابات  
الخاصة يصف لصديق الطريقة المثلى لنطق لفظ Cthulu  
التي حير نطقها الكثيرين ، فيقول : إن عليك أن تنطقها  
من حلقك مع تثبيت طرف اللسان على سقف الفم ،  
والنباح لتخرج الكلمة كأنها ( كت - هلو - لهو ) !!  
لأن لسان البشر القاصر لا يستطيع نطق الاسم بالشكل  
الصحيح ! بل ما زال كثيرون يبحثون عن النسخة  
الأصلية من كتاب ( نكرومونيكون ) المسمى ،  
الذي كتبه شاعر يمني اسمه ( عبد الله الحظرد ) ،  
حسب زعم ( لافكرافت ) ..

ولد ( هوارد فيليب لافكرافت ) في أغسطس عام 1890  
في ( بروفدينس ) بـ ( رود آيلاند ) ، وتربى مع  
أمه وجده بعد وفاة أبيه الغامضة ( ظل سنتين يقال له  
إن أباه نائم الآن ) ، وكان مولعاً بالقراءة وبصفة  
خاصة ( ألف ليلة وليلة ) التي قرأها وعمره خمسة  
أعوام ، ولسوف يدرك دارسو أدبه يوماً ما أن  
( ألف ليلة ) قد تركت بصمة لا تمحى في كتابات  
الرجل . وفي هذه الفترة أطلق على نفسه اسم  
( عبد الله الحظرد ) ، وهو نفس الاسم الذي كتب  
به روايته الرهيبة ( نكرومونيكون ) كما قلنا . وفي  
العام التالي اكتشف الأساطير الإغريقية وقرأ الإلياذة  
والأوديسا .. ولعب جده دوراً مهماً في جعله يحب  
حكايات الرعب القوطية .

كان قليل الانتظام في المدرسة ، بلا أصدقاء تقريباً .  
لكنه كان يدرس في مدرسته الخاصة الذائخة  
بقراءات لا تنتهي . وفي سن المراهقة أصدر بنفسه  
مجلة دورية عن علم الفلك ، وراسل إحدى الصحف  
المحلية . ثم توفي جده وعانت أمه الكثير من  
المشاكل المادية ، مما اضطرهما إلى ترك البيت



الجميل الذي تربي فيه الأديب ، وأصابه انهيار عصبي  
حرمه من دخول الجامعة ، وقد ظلت هذه النقطة  
تعذبه طيلة حياته .

فيما بعد التحق برابطة الأدباء الهواة المتحددين  
عام 1914 ، وترقى إلى أن صار رئيس للرابطة ،  
وكانت هذه أهم خطوة في حياته ؛ لأنه لم يكن وثقاً  
قط مما إذا كان يملك حاسة الأدب أو يفتقر إليها ،  
وكتب أولى قصصه الخيالية المربعة ( الوحش في  
الكهف ) - نشرناها فيما سبق - و ( الخيميائي )  
ولاقى نجاحاً أفتعه بأن يكرس قلمه لهذا النوع من  
الأدب .. ومع الأدب كتب الكثير جداً من الشعر ،  
مثله مثل ( آلان بو ) مواطنه الأشهر .

وفي الوقت ذاته كان يرسل عدداً هائلاً من  
الأصدقاء والمعارف ، حتى صار بالفعل من أهم من  
كتبوا أدب الرسائل في هذا القرن . وفي العام 1921  
قابل ( سارة ) .. المرأة التي ستكون زوجته ، وهي  
مهاجرة سوفيتية تكبره في العمر بسبعة أعوام .  
وتزوجا في العام التالي وعاش معها في شقتها في  
( بروكلين ) . وكتب ( لافكرافت ) أسوأ كوابيسه

القصصية مثل : ( الرعب في ردهوك ) و ( هو )  
متأثراً بجو ( نيويورك ) الكئيب الذي لم يحبه قط .  
وفي عام 1929 تم الطلاق ، وعاد هو إلى ( بروفايدنس )  
التي أحبها بعمق . كانت هذه آخر وأهم عشرة  
أعوام من عمره ، وفيها سافر كثيراً جداً وكتب أهم  
رواياته ( نداء كتولو ) و ( في جبال الجنون ) و ( ظل  
الزمن ) . كما كان يقرأ كثيراً جداً وفي كل موضوع  
من الفلك إلى التاريخ إلى النحت إلى السياسة .

ومع العام 1932 صارت قصصه أكثر تعقيداً  
وصعوبة ، وصار يجد عسراً في بيعها ، لذا راح  
يكسب عيشه كمصحح لقصص الأشباح الرخيصة .  
وفي العام 1937 اكتشف الأطباء أنه مصاب بحالة  
متقدمة من سرطان الأمعاء ، وسرعان ما توفي في  
العام نفسه .

كان ( لافكرافت ) يتنبأ بنسيان أعماله بعد موته ،  
لأنه لم ينشر قط كتاباً بالمعنى الصحيح .. وربما  
تعتبر رواية ( ظل فوق إينز ماوث - 1936 ) هي  
العمل الوحيد له الذي نشر في كتاب .. وفيما عدا  
ذلك كتبت أعماله للعديدة مبعثرة في للمجلات والدوريات .



# هواء بارد ..



وبعد وفاته تطوع تلميذاه اللذان شجعهما كثيراً  
( أوجست درليث ) و ( دونالد واتديري ) بجمع  
أعماله ، وكونا دار نشر اسمها ( بيت أرخام ) ،  
وصارت كل إبداعاته متاحة للقراء وطلاب الألب في  
كتب حسنة الطباعة والتغليف .

في هذا الكتيب والكتيب السابق له ، نقرأ بعض  
القصص القصيرة أو الروايات القصيرة لهذا العظيم ،  
وقد حاولت تخفيف بعض الفقرات ، لكنني لا أتصح  
صفار السن بتأنا بقراءة هذين الكتيبين ، وهذه  
ليست دعاية لهما بالمناسبة ، بل هي الحقيقة !

و. أحمد خالد توفيق

★ ★ ★



## هواء بارد ..

تسألنى أن أفسر لماذا أخشى تيارات الهواء البارد .. ولماذا أرتجف أكثر من الآخرين حين أُلَفّ إلى غرفة باردة ، ويبدو على الغثيان والنفور حين يزحف برد المساء فى دفاء يوم خريف . يقول البعض إننى أستجيب للبرد كما يستجيب غيرى لرائحة منفرة .. وإننى لآخر من ينكر هذا الانطباع ..

ما سافطه هو أن أحكى لك أشنع ظروف قابلتها ، وأترك لك أن تحكم ما إذا كان هذا يفسر حالتى بشكل ما ..

من الخطأ أن نحسب الرعب مرتبطاً دائماً بالظلام والصمت والوحدة ، فقد وجدته أنا فى ضياء العصر .. فى ضوضاء المدن .. وفى قلب نزل قديم مع رجلين شجاعين إلى جانبى ..

وفى ربيع عام 1923 كنت أمارس عملاً مملاً وغير مجز ، فى إحدى صحف ( نيويورك ) ، ولما كنت غير قادر على دفع الإيجار ، فإتنى رحت أتنقل

من ممكن لآخر ، بحثاً عن غرفة تجمع بين النظافة المعقولة والأثاث المتين والسعر الرخيص . فى النهاية وبعد جهد وجدت شقة فى الشارع الرابع عشر ، أثارت تقزى أقل من الشقق التى رأيتها من قبل ..

كان هذا مبنى من أربعة طوابق يعود لأواخر أربعينات القرن الماضى ، وكان به من أشغال الخشب والرخام ما يوحى بذوق راق بائد .. أما الغرف فكانت مكسوة بورق حائط لا يطاق ، وزخارف بالجص ، وتنفوح بها رائحة العطن مع رائحة طهى غامضة .. لكن البياضات نظيفة والماء الساخن متوفر دائماً .. وهكذا اعتبرت هذه الغرفة هى المكان المناسب للبيات الشتوى ، إلى أن يعود المرء ليعيش من جديد ..

كانت صاحبة النزل امرأة أسبانية قذرة توشك أن تكون لها لحية ، واسمها ( هيريرو ) .. لكنها ما كانت لتضايقتى بثرثرتها وأقاويلها أو بصدد الضوء الكهربى فى غرفتى ، وكان جيرانى هادنين لا يميلون للمودة كما أشتهى بالضبط ..



أمضيت نحو ثلاثة أسابيع هناك حين حدث أول شيء غريب .. ذات ليلة في الثامنة سمعت شيئاً ينسكب على الأرض ، وشعرت أنني أشم رائحة الأمونيا النفاذة في نفس الوقت .. نظرت لأعلى فوجدت أن السقف رطب تتساقط منه قطرات .. وهكذا هرعت إلى البدروم لأخبر صاحبة المنزل ، كي تضع حداً لهذا الموضوع .. فقالت لي إن المشكلة ستحل حالاً ..

وصاحت وهي تتقدمني عبر الدرج :

- « دكتور (مونوز) ! لقد سكب كيماوياته .. إنه مريض دائماً .. مريض طيلة الوقت .. لكنه لا يطلب مساعدة أحد .. طيلة اليوم يستحم ويقوم بكل أعمال المنزل الخاصة به .. ولا يعمل طبيباً .. لا يمارس المهنة .. لا يخرج أبداً .. وابني (إستييان) يجلب له الطعام والغسيل والدواء .. رباه ! كل النشادر التي يستعملها الرجل ليظل بارداً !! »

وتوارت صاعدة إلى الطابق الرابع ، أما أنا فعدت إلى غرفتي .. كفت الأمونيا عن التنقيط .. فتحت

النافذة بينما أسمع صوت صاحبة المنزل من أعلى ، لكنني لم أسمع صوت الدكتور (مونوز) .. وإن سمعت صوت آلة ما تعمل بالجازولين .. سألت نفسي عن سر هذا الرجل ، والشذوذ الواضح في طباعه .. هناك الكثير من الأمراض النفسية لدى رجل اتحدر به الحال في الحياة ..

ربما لم أكن لأعرف شيئاً عن الدكتور (مونوز) ، لولا النوبة القلبية التي أصابتني صباح يوم جلست أكتب فيه في حجرتي .. وكان الأطباء قد أذروني من خطر هذه النوبات .. كنت أعرف أنه ما من وقت يضيع ، وتذكرت ما حكته لي صاحبة الدار ، فهرعت إلى الطابق العلوي وقرعت الباب ..

أجيب على طرفتي بصوت غريب يسأل بإتجليزية جيدة عن مبتغاي ، فلما أجبت افتتح الباب الذي طرفته ..

حياتي تيار من الهواء البارد .. وبرغم أن اليوم كان من أشد أيام يونيو حرّاً ، فبأنني ارتجفت وأنا أدخل الشقة الواسعة ، التي أثارت فخامة ديكوراتها



دهشتي في مكان قدر كهذا .. كل شيء هنا يوحى  
بغرفة مكتب أحد السادة ، وليس بغرفة في نزل  
رخيص كهذا .. واستطعت الآن أن أفهم أن الغرفة  
الى تقع فوقى لم تكن إلا معمل الدكتور .. كان من  
الواضح أنه رجل كريم المحند مثقف وذو تمييز ..

كان قصير القامة لكنه متناسق الأطراف ..  
يرتدى ثياباً مهندمة ، وله وجه يحمل تعبيراً سيادياً  
لكنه غير متعال .. تحيط بوجهه لحية رمادية  
كالمعدن ، ونظارة من طراز ( باتس نيه ) الذى يتم  
تثبيته على قصبة الأنف .. وأعطى أنفه الشبيه  
بالنسر الرجل طابعاً يوحى بالنسب للمور<sup>(\*)</sup> ، بينما  
السحنة عامة أقرب إلى سكان شمال أسبانيا ..

لكن الحقيقة هي أنني حين رأيت الرجل ، شعرت  
بنفور لم يبرره شيء في ملامحه .. فقط وجهه  
المزرق الشاحب ولمسته الباردة لعباً دوراً في هذا  
الانطباع .. ربما كان السبب هو البرد القويذ الذى

(\*) للمور مجموعة من مسلمي أسبانيا الذين جاؤوا أصلاً من بلاد  
المغرب ، وقد تركوا طابعاً واضحاً في المعمار والفنون لدى الأسبانيين ..

جعلنى أشعر بنفور .. خاصة أن هذا البرد ليس  
معتاداً في يوم حار كهذا ، وما هو ليس معتاداً  
يسبب النفور فالشك بالخوف ..

لكن سرعان ما نسيت النفور وسط الإعجاب ..  
لأن براعة الطبيب ظهرت حالاً ، برغم ارتجاف يديه  
للشاحبتين وبرودهما .. لقد فهم مشكلتي بلمحة  
واحدة ، وراح يعالجها وهو يطمئننى بصوت رخيم  
إلا أنه أجوف غريب .. قال لى إنه ألد أعداء  
الموت ، وإنه أفنى عمره في تجارب تهدف إلى  
محاربته ..

مزج لى بعض العقارات من غرفة المعمل  
وجعلنى أتناولها .. وبدأت لى ثرثرته كأنها سر  
لوجود رجل طيب المنشأ في هذه البيئة القذرة ..  
وراح يتكلم كما لم يعتد من قبل عن ذكريات الأيام  
الطيبة الخالية ..

كان صوته غريباً ، لكنه مريح مهدئ للأعصاب ،  
وقد راح يحدثنى كي يبعد تفكيرى عن الألم .. قال  
لى إن الإرادة هي ما يتحكم فينا ، وإنه من الممكن



يومًا ما أن أتعلم - قالها مزحًا - كيف أعيش أو  
أمارس نوعًا معينًا من الوعي ، من دون قلب على  
الإطلاق !! بالنسبة له كان يعاني أمراضًا عدة جعلته  
مضطربًا للحياة حسب نظام خاص ، وكى يحتفظ  
بحرارة البيئة عند نحو 55 إلى 56 فهرنهايت ، فإنه  
كان يبرد الأمونيا بنظام معقد ، هو سر صوت محرك  
الجازولين الذى كنت أسمعه من حجرتى ..

شفيت بسرعة من نوبتى ، ففارقته شاكراً ..

بعد هذا قمت بعدة زيارات - لابسا المعطف -  
له ، واعتدت أن أتأمل مجموعته العجيبة من  
الكتب .. بدا لى أنه لا يحتقر تعاويذ العصور  
الوسطى ؛ لأنه كان يعتقد أن هذه الوصفات السحرية  
تحوى تأثيرات نفسية معينة على الجهاز العصبى ،  
والذى منه بدأت الأعراض .. وتأثرت لما حكى لى  
عن د. (توريس) من (فالنشيا) الذى قاسمه  
تجاربه الأولى ، وعالجه من مرضه منذ ثمانية عشر  
عامًا ، لكن الطبيب البارع لم يكد يشفى صاحبه حتى  
سقط هو نفسه فريسة لذلك الغريم الذى قاتله  
كثيراً ..

وإذ مرت الأسابيع ، لاحظت فى أسى أن صديقى  
الجديد يفقد صحته ببطء لكن بشكل مؤكد .. لقد  
تزايد شحوب بشرته ، وصار صوته عميقًا غير  
محدد للنبرات ، وبدأ أن عضلاته لا تتحرك بنفس  
التناسق ، كما أن أفكاره صارت تفتقر إلى الوضوح  
والمبادأة .. وبدأ لى أنه يشعر بالفعل بما يحدث له ،  
وكان فى كلماته لون من السخرية والتهكم لم يفت  
على ونكرنى بالنفور القديم الذى شعرت به نحوه ..

اكتسب بعض النزوات الغريبة ، مثل الميل إلى  
العطور القوية المثيرة والبخور ، حتى إن رائحة  
غرفته بدت كقبو ضريح فرعونى فى وادى  
الملوك .. وفى الوقت ذاته ازداد نهمة إلى الهواء  
البارد ، وقمت بتقوية نظام تبريد الأمونيا فى  
غرفته .. حتى صار بوسعه جعل الحرارة 34 درجة  
وفى النهاية 28 درجة .. وبالطبع لم نفعل هذا مع المص  
والحمام حتى لا يتجمد الماء أو تتجمد الكيماويات ..

كان كعادته الغريبة يكثر من الحديث عن الموت ،  
لكنه كان يضحك كلما جرى الحديث عن إعدادات



الدفن والجنائز وما إلى ذلك .. وكنت أنا ممثلة له  
إلى حد أنني كنت أجلب له ما يريد من مشتريات ،  
وأزور حجرته يوميًا وأعني بها ، وأنا مدثر بمعطف  
قراء ثقيل اشتريته خصيصًا لهذا الغرض .. إن مسز  
( هيريرو ) صاحبة النزل اعتلت أن ترسم للصليب  
كلما رآته ، ثم تخلت عنه تمامًا ..

كانت للمنزل كله رائحة كريهة .. لكن حجرته  
كانت أسوأ من سواها .. وبرغم كل البخور والعطور  
القوية .. وكنت كلما اقترحت عليه طبيبًا آخر ينفجر  
في الغضب بالقدر الذي تسمح به صحته ..  
وسرعان ما بدأ الإرهاق الذي ظهر في أول أيام  
المرض ، يفسح الطريق لإرادته الجبارة التي اتخذت  
شكلًا عنيفًا جامحًا ..

اعتاد أن يكتب وثائق طويلة لا أعرف محتواها ،  
وكان يغلق المظاريف ويوصيني بإعطائها لأشخاص  
معينين ذكرهم بالاسم .. ومنهم طبيب فرنسي قيل  
في وقت ما إنه ميت ، والآن يتهايمسون بأشياء لا يمكن  
استيعابها بصدده .. وبعد ما انتهى كل شيء قمت  
بحرق هذه الأوراق ولم أفتحها ..

وفي يوم من أيام سبتمبر ، تكفلت نظرة منه  
بإحداث نوبة صرع لدى رجل جاء لإصلاح مصباح  
المكتب الكهربى .. وقد وصف له علاج الصرع  
ببراعة بينما هو يتوارى عن الأنظار .. ومن الغريب  
أن هذا الرجل قد عاش أهوال الحرب كلها دون أن  
يحدث له شيء كهذا ..

ثم - في منتصف أكتوبر - جاء هول الأهوال  
بشكل مفاجئ مذهل .. ذات ليلة في الحادية عشرة ،  
تحطمت مضخة آلة التبريد ، وهكذا خلال ثلاث  
ساعات لم يعد تبريد الأمونيا ممكنًا .. واستدعاني  
د. ( مونوز ) بطرقات على الأرض . فصعدت إلى  
حجرته .. ورحت أحاول إصلاح المضخة ، بينما هو  
يسب ويلعن بصوت بلا حياة فيه ..

لم تنجح جهودي غير الاحترافية ، واستدعيت  
ميكانيكيًا من كراج قريب ، ليجد أن ما من شيء يمكن  
عمله حتى الصباح .. هنا بلغ غضب الناسك  
المريض أقصاه ، واندفع إلى الحمام وهو يدارى  
عينيه بيده .. أدركت أنه قد لف وجهه كله  
بالضمادات ، وكانت هذه آخر مرة أرى عينيه فيهما ..



الآن بدأت برودة الشقة تتلاشى ، وفي الخامسة صباحاً أغلق الدكتور الحمام على نفسه ، وأمرنى أن أجلب له الثلج من الحانات الساهرة .. وكنت أعود من رحلاتي - التي كانت محبطة أحياناً - فأضع حملي أمام باب الحمام المغلق ، وأسمع صوتاً غليظاً يأمرنى : « مزيد ! مزيد ! »

في النهاية جاء النهار ، وفتحت المحلات أبوابها .. وجدت متسكفاً عند ناصية الشارع الثامن فأخذته إلى متجر قريب ، وطلبت من صاحبه أن يعطيه ما يستطيع حمله من ثلج ، وكلفته بهذه المهمة .. بينما كلفت نفسي بالبحث عن مضخة جديدة ، والبحث عن حرفي كفاء يقوم بتركيبها ..

واشتعلت غضباً بينما الساعات تمضي بلا طعام ولا راحة ، وأنا أبحث من مكان لآخر ، وأجرى عشرات المكالمات الهاتفية بلا جدوى ..

وفي الواحدة والنصف ظهراً وجدت مخزن آلات ، وعدت إلى المنزل مع حرفيين قويين بارعين .. لقد فعلت كل ما قدرت عليه ، وتعميت ألا أكون تأخرت كثيراً ..

لكن الرعب الأسود كان قد سبقنى ، ووجدت البيت فى فوضى عامة ، وسمعت رجلاً يصلى بصوت خفيض عميق .. كانت رائحة شنيعة فى الجو ، وبدأ أن المتسكع الذى استأجرته قد فروه يصرخ بعينين مجنونتين ، ويبدو أن الفضول قد غلبه ليرى ما هناك .. ما كان يوسعه أن يفتح الباب من الداخل ، لكنه الآن موصد .. لا صوت من وراءه إلا صوت قطرات تتساقط ببطء ..

تناقشت بسرعة مع مسز ( هيريرو ) والحرفيين ، اقترحت أن نهشم الباب ، لكن صاحبة المنزل وجدت طريقة لإدارة المفتاح من الخارج باستعمال قطعة سلك .. والآن واضعين المنايل على أنوفنا ، اقتحمنا الغرفة اللعينة التى غمرتها شمس الظهيرة الدافئة .. كانت هناك بركة صغيرة شنيعة عند المكتب .. وعلى ورقة ملطخة مبللة كتبت كلمات بخط مشوه لا يرى .. ثم يمضى مسار القطرات نحو الأريكة ..

أما من كان - أو ما كان - على الأريكة فلا أجسر على القول .. لكنى قرأت ما كتب على الورقة الملطخة



قبل أن أشعل عود ثقاب وأحرقها .. بينما صاحبة  
النزل والحرفيان يهرعون مذعورين ليحكوا ما رأوا  
عند أقرب نقطة شرطة ..

هذا هو ما كتب .. كان غريباً في ضوء الشمس  
وضجيج السيارات في الشارع ، لكنني صدقته ..  
واليوم ما زلت أرتجف هلعاً كلما شممت رائحة  
الأمونيا أو شعرت بهواء بارد على وجهي ..

« النهاية هنا .. » - كذا كتبت الحروف كريمة  
الرائحة - « لا مزيد من الثلج .. لقد رآني الرجل وفر  
مذعوراً .. إن الدفء يزداد ، ولن تعيش الأنسجة  
أطول من هذا .. هل تذكر ما قتلته لك عن الأجساد  
التي تعيش بالإرادة وحدها ؟ لقد كان د . ( تورييس )  
يعرف ، لكن الصدمة قتلتته .. لأنه لم يتحمل ما عليه  
أن يفعله وقتها ، حين كفت أعضائي عن العمل ..  
لذا كان يجب أن يتم الأمر بطريقتي الخاصة ..  
الحفظ بالبرد .. لأنني مت بالفعل في ذلك الوقت منذ  
ثمانية عشر عاماً .. » .

\*\*\*

## الذي لا اسم له





## الذى لا اسم له ..

كنا جالسين على قبر مهدم من قبور القرن السابع عشر ، بعد الظهيرة فى يوم خريف ، فى مقبرة ( أرخام ) القديمة ، نتحدث عن الذى لا اسم له . ونحن ننظر إلى شجرة الصفصاف العਲقة التى غطى جذعها الغليظ شاهد قبر قديم . قلت ملحوظة عابرة عن التغذية الممتازة التى تتألفها جنور هذه الشجرة من الأرض الخصبة تحتها ، لكن صاحبي وبخنى على هذا السخف ، وقال إنه مادام لم يدفن أحد هنا من قرن ، فمن الصير أن توجد تغذية كالتى أتخيلها . بالإضافة لذلك - أضاف - فإن كثرة كلامى عن « الذى لا اسم له » و « الذى لا داعى لذكره » هى طريقة خشنه تتناسب مع مستواى المتواضع كاديب .. فإتنى أنهى قصصى دائماً بأصوات ومشاهد مفزعة ، تشل أبطال قصصى وتتركهم بلا قدرة على سرد ما رأوه بالضبط ..

قال لى إتنا تميز الأشياء بحواسنا الخمس ، فلا معنى للكلام عن شىء لا يستند إلى أسس مادية واضحة . دعك من الإضافات التى يسبغها السير ( آرثر كونان دويل ) وأمثاله (١) .

كنت أتجادل كثيراً مع هذا الصديق ( جويل ماتتون ) ، فقد تلقى تربية علمية صارمة تجعله لا يؤمن إلا بالمعاديات .. وكان يضيق ذرعاً من ولعى بالغامض والذى لا تفسير له . وبرغم أنه كان يؤمن بالخوارق ربما أكثر منى ، فإنه يرى أن مهمة الأدب ليست أن يقدم للناس مهرباً من أعباء الحياة اليومية . وبالنسبة له كانت للأشياء والمشاعر أبعاد وخواص وأسباب وآثار ، وكان يضع خطأ فاصلاً يستبعد به كل ما لا يمكن للشخص العادى أن يفهمه ..

بالإضافة لهذا كان يؤمن أنه ما من شىء يمكن أن يكون « لا اسم له » حقاً .. فلم يبد له هذا معقولاً .

(١) عرفنا من قبل أن القمير آرثر كونان دويل - مؤلف ( شيرلوك هولمز ) الشهير - كان مهتماً بعلم تحضير الأرواح والسحر



أما أنا في ذلك اليوم ، فكان مشهد شواهد  
القبور .. وأسقف بيوت المدينة المهجورة التي  
تسكنها الساحرات ، مما جعلني راغباً في الجدل  
بحق ، ولقد حملت طغياتي إلى أرض عدوى ..

لم يكن عسيراً أن أبدأ بهجمة مضادة ؛ لأنني كنت  
أعرف أن (جويل) نفسه ما زال نصف متعلق ببعض  
خرافات العجائز ، التي نضج كثير من المثقفين كي  
يؤمنوا بها .. خرافات عن ظهور الأشخاص الذين  
ماتوا في أماكن بعيدة ، ووجوه المتوفين التي تنطبع  
على زجاج النوافذ التي نظروا عبرها كثيراً .. إن  
معنى هذا هو الإيمان بشيء يفوق المعايير المادية  
بكثير .. فلو كان بوسع صورة الميت الانتقال عبر  
القرون والأميال لتظهر لنا ، فكيف لا تؤمن بأن  
البيوت المهجورة تزخر بأشياء غامضة ؟ وكيف  
لا نفترض أن القبور مفعمة بذكاء بلا جسد تراكم  
عبر الأجيال ؟ وبما أن الأرواح لا تقيدتها قواتين  
المادة ، فلماذا لا نفترض وجود أشباح لها أشكال  
أدمية ، لا بد أن تبدو لمن يراها من البشر أشياء  
( لا اسم لها ) ؟ إن التعقل في فهم هذه الأمور ليس  
إلا افتقاراً إلى الخيال والمرونة العقلية ..

كان الشفق قد دنا ، لكن أحدنا لم يرغب في إنهاء  
المحادثة .. لم يبد (جويل) متحمساً لآرائى ، وبدأ  
راغباً في إحضار آرائه التي - حتماً - كانت سبب تجاهه  
كمعلم .. بينما كنت أنا بالغ الثقة من منطقي ..

جاء الضيق ولمعت الأضواء عبر نوافذ ما من  
بعيد ، لكننا لم نتحرك .. كنت أعرف أن صديقي  
العقلاني المفتقر للشاعرية ، لن يعبأ بالشقوق  
المظلمة في الجدران من خلفنا ، أو بالظلام الدامس  
في البقعة التي يتمايل فيها بيت عتيق ، من القرن  
السابع عشر ، بفصلنا عن أقرب طريق مضيء ..  
هناك في ظلام المقابر تكلمنا عن الذي لا اسم له .  
وبعد ما أنهى صديقي كلامه أخبرته بالدليل الرهيب  
وراء قصتي التي سخر منها أكثر من سواها ..

كان اسم قصتي (نافذة الصندرة) وقد نشرت في  
يناير 1922 في جريدة (الهمسة) . إن الشيء الذي  
تكلمت عنه مستحيل بيولوجياً ، وهي مجرد حكاية  
مما يفهم به القرويون ، وقد كتبتها بخفة كاتب  
طائش خيالي . لقد حكى (ماثر) من قبلى عن ذلك  
الشيء باعتباره قد ولد ، لكن ما من أحد إلا كاتب من



كتاب الإثارة يمكن أن يقول إنه كبير ، وإته ينظر من نوافذ الناس ليلاً ، وإته يتوارى في صندرة بيت .. حتى يراه أحدهم من النافذة بعد قرون ولا يستطيع وصف ما يراه ، حتى إن شعر رأسه ابيض هلعاً ..

لم يصدق صديقى ( ماتتون ) حرفاً حتى عرضت عليه بعض أوراق الأسرة ، التى يعود زمنها إلى ما بين عامى 1706 و 1723 ، وشرحت له سر الندوب على صدر جدى ، وحكى له عن الجروح التى أصيب بها كثيرون هنا ، والتى تشاقلت الأجيال قصصها .. وعن الفتى الذى دخل بيتاً مهجوراً عام 1739 ليبحث عن آثار معينة هناك ..

لقد كان عصرًا مخيفًا بلا حرية ولا جمال .. ترى هذا فى بقايا المباني والآثاث والمواعظ المسمومة التى تركها لنا بعض الوعاظ المتشنعين .. لكن داخل هذا السجن الحديدى الصدى كانت تحيا انحرافات شيطانية مؤكدة .. هنا إذن كان العصر الذهبى للذين لا اسم لهم ..

فى كتابه السادس عن الشياطين - والذى ينبغى ألا يقرؤه أحد بعد حلول الظلام - راح ( كوتون ماثر )

بغداد وإصرار ، يحكى عن الوحش الذى جلب معه ما هو أكثر من وحش ، لكنه أقل من إنسان .. الشيء ذو العينين المشوهتين .. ربما لم يكن يعرف أو عرف ولم يجسر على الكلام ..

كان الناس يتهايمون عن القفل الموضوع على الباب المفضى لسلم الصندرة ، فى منزل ذلك الرجل العجوز المريض الذى لم يرزق بأولاد ، وكيف أن هذا العجوز وضع شاهد قبر حجرياً بلا كتابة فوق قبر يجدر الابتعاد عنه ..

كل هذا وأكثر مكتوب فى مذكرة ات أجدادى .. تلميحات عن أشياء لها عيون شائهة ، تراها خلف النوافذ ليلاً أو فى المروج .. شيء ما قد تحرش بجدى فى واد مظلم وتركه بجروح على صدره ، كأنما أحدثتها قرون .. وآثار مخالب قرد على ظهره .. فلما بحثوا عن آثار أقدام على الأرض وجدوا ما يشبه الحوافر ..

قال أحد للفرسان ذات مرة : إنه رأى عجوزاً يطارد شيئاً مخيفاً بلا اسم فى ضوء القمر الخافت



قبل الفجر ، وقد صدقه كثيرون .. كان هناك كلام غريب عن ليلة معينة في عام 1710 حين دفن العجوز المحطم الذي لا ابن له ، في السرداب خلف داره .. ولم يفتح أحد باب الصندرة ، بل تركوا البيت كما هو بخشاه الجميع .. وحين كانت الضوضاء تأتي منه كانوا يرجفون فرقا وبتهامسون ، ويأملون أن يكون القفل على الباب موصداً بإحكام ..

وبمرور الزمن تتخذ الأسطورة طابعاً خاصاً .. إنني أفترض أن الشيء - لو كان شيئاً حياً - قد مات .. وقد ظلت الذكرى حية مخيفة ؛ لأنها ظلت سرّاً ..

في أثناء سرد هذا الكلام لاحظت أن (ماتتوني) صار أميل للصمت ، وبدأ لي أن قصتي أثرت فيه بشكل ما .. وحين انتهيت لم يسخر ، بل سألني عن الصبي الذي جن عام 1739 وعن البطل الحقيقي لقصتي ..

حكيت له كيف أن الصبي ذهب إلى المنزل المهجور ، وحسب أنه سيجد شيئاً مثيراً .. تسلل الصبي لينظر عبر نوافذ غرفة الصندرة المفزعة هذه ، ثم عاد وهو يصرخ في جنون ..

هنا عادت لـ (ماتتوني) طبيعته التحليلية .. فافترض على سبيل الجدل أن هناك وحشاً خارقاً للطبيعة قد وجد فعلاً .. لكنه ذكرني أنه حتى أبشع تحولات الطبيعة لا يمكن ألا يكون لها اسم .. حكيت له عن أساطير التجسيدات المفزعة التي تظهر قرب المقابر ، وتهاجم عابري السبيل ليلاً .. ولا أدري إن كانت هذه التجسيدات حقاً تخنق الناس وتخيفهم حتى الموت أم لا ، لكنها كانت ذات تأثير قوي ، وما زال القوم المسنون هنا يخافونها برغم أن آخر جيلين قد نسيا هذه القصص .

لابد أن الوقت قد تأخر كثيراً الآن .. احتك بي وطواط وحيد صموت ، واعتقد أنه لمس (ماتتوني) كذلك ، وإن كنت لم أر هذا .. قال لي :

- « لكن ، هل مازال ذلك المنزل ذو الصندرة موجوداً ومهجوراً ؟ »

أجبت :

- « نعم .. لقد رأيته .. »



- « وهل وجدت شيئاً هناك فى الصندرة أو أى مكان آخر ؟ »

- « كانت هناك بعض عظام .. ربما هى ما رآه الصبى .. ولو كان بالغ الحساسية ، لما احتاج إلى شيء يثير رعبه أكثر من هذا .. ولو كانت جميعها جاءت من كائن واحد ، فالأمر يتطرق بلغز مخيف حقاً .. لقد وجدت أنه من التجديف أن أترك هذه العظام حيث هى ، وعدت بحقية ونقلتها إلى تلك المقبرة خلف الدار .. كانت هناك فتحة مناسبة سهلت عملى .. لا تحسبني معتوها .. كان عليك أن ترى الجمجمة .. لقد كان لها قرنان طول الواحد أربع بوصات ، لكن الوجه والفك شبيهان بوجهى ووجهك .. »

هنا شعرت بقشعريرة تنبعث فى جسد ( ماتتون ) الذى التصق بى أكثر ، لكن فضوله كان لا يرتوى :

- « وماذا عن زجاج النوافذ ؟ »

- « لم يكن هناك .. لا أثر للزجاج فيها ، وإحدى النوافذ لم تكن ذات إطار أصلاً .. أحسب أنه لم يكن

فيها زجاج منذ مائة عام أو أكثر . ربما هشمتها الصبى بنفسه .. »

- « لا بد أن أرى هذا المنزل .. لا بد أن أستكشفه .. والقبر الذى رميت فيه العظام .. والقبر الآخر الذى لا شاهد له .. لا بد أن رؤيته مخيفة نوعاً .. »

- « بل كنت تراه بالفعل من مجلسنا هذا .. حتى ساد الظلام ! »

كان تأثير هذا على صديقى أكثر مما توقعت بكثير من هذه اللمسة المحرقة .. لقد ابتعد عني فى توتر ونظر إلى بعيد ، وبالفعل أخرج صرخة قصيرة كانت منفذاً للتوترات التى يشعر بها .. كانت صرخة غريبة والمفزع هنا أن صوتاً آخر جاوبها .. لأننى سمعت بعدها صوت صرير عبر الظلام الدامس ، وعرفت أنه صوت النافذة تفتح فى ذلك المنزل لمشئوم بقربنا .. ولأن كل إطارات النوافذ قد سقطت ، فبئنى عرفت أنه صوت نافذة تلك الصندرة ..

ثم هبت عاصفة من الهواء البارد المؤلم من ذلك الاتجاه الرهيب .. تبعثها صرخة تخرق السمع من

جوارى .. من ذلك القبر الذى حوى رفات الإنسان والوحش معا .. وفى اللحظة التالية أطاحت به من فوق مقعدى الكريه ، ضربة عاتية من كيان هائل الحجم ، غير محدود القوى .. فسقطت فوق ذلك القبر بأعصابه التى اقتلعت حتى الجذور .. بينما من القبر تعالى صوت عال من الشهيق والأزيز ، جعلنى أتخيل حشداً من الأرواح المشنومة .. ثم هبت نوامة من ريح ثلجية يقشعر لها البدن ، مع هدير قطع القرميد الساتبة والجص .. لكننى فقدت رشدى لحسن الحظ قبل أن أتبين معناها ..

كان (ماتتون) أصغر سناً منى ، لكنه أكثر مرونة .. لأننا فتحنا عينينا فى اللحظة ذاتها برغم أن إصاباته كانت بالغة .. كان فراشنا متجاورين ، وعرفنا بعد ثوان أننا كنا فى مستشفى (سات مارى) .. وكان المحيطون بنا يتحرقون شوقاً لسماع قصتنا ، وحاولوا إنعاش ذاكرتنا بأن حكوا لنا كيف وجدونا .. عرفنا أن فلاحاً وجدنا عند الظهر على بعد ميل من المقابر القديمة ، حيث كان هناك مذبح قديم . كان (ماتتون) مصاباً بجرحين بليغين

فى الصدر وبعض مسحات فى ظهره .. أما أنا فلم أكن جريحاً ، لكنى كنت مكسواً بالكدمات الغريبة بما فيها أثر حافر مشقوق .

كان واضحاً أن (ماتتون) يعرف أكثر منى ، لكنه لم يقل الكثير لمن حولنا ، وزعم أننا هوجمنا من ثور غاضب .. فلما انصرف الأطباء سألته فى لهفة :  
- «حسن يا (ماتتون) .. ما سر هذه الجروح إذن ؟»

وكنى أكثر وهناً من أن أتהל حين أخبرنى بما توقعته :

- «كان فى كل مكان .. شىء كالجيلاتين أو الوحل إلا أنه كان ذا أشكال محددة .. ألف شكل من أشكال الرعب التى تفوق الذاكرة .. وكانت له عينان مشوهتان .. لقد كان هو الاضطراب الأعظم .. الصناعة المطلقة .. (كارتر) .. لقد كان هو الذى لا اسم له !»

1923

\*\*\*



## خلف جدار النوم ..

لطالما تساءلت عما إذا كان أكثر البشر قد توقفوا ليتأملوا أهمية الأحلام الهائلة ، والعالم المبهم الذي تنتمي إليه .. وإذا كان عدد كبير من رؤانا الليلية ربما لا يزيد على انعكاسات لخبرات صحنونا كما قال ( فرويد ) ، فإن جزءاً معيناً يظل بطبيعته الأثيرية ممتنعاً عن التفسير العادي ، ويعطينا تأثيره المقلق المثير لمحة خاطفة عن عالم عقلي لا يقل أهمية عن للعالم المادي ، لكن يفصله عنه جدار لا يمكن تجاوزه .. ومن خبرتي لا أشك في أن الإنسان حين يغيب عنه الوعي الأرضي ، إنما يقيم في عالم آخر غير مادي يختلف كثيراً عن الذي نعرفه . ومن هذه الذكريات المفتتة المبهمة قد نستنبط الكثير عند اليقظة ، لكننا لا نبرهن إلا عن القليل . وأحياناً نحسب أن تلك الحياة غير المادية قد تكون هي حياتنا الحقيقية ، وأن وجودنا على هذه الكرة المائية هو الشيء التخيلي .

## خلف جدار النوم ..



كنت شاباً مفعماً بهذه الأفكار حين أفقت ذات يوم في شتاء 1900 - 1901 ، وحين عرفت للرجل الذي ظلت حالته تلاحقتني من وقتها بـلاتوقف . وكان اسمه كما سجل في المصلحة العقلية التي كنت طبيباً فيها ، هو ( جو سلاتر ) أو ( سلاتر ) ، وكان له سميت واحد من أهالي ( كاتسكيل ماونتين ) ، وهم سلالة غريبة من الفلاحين انعزلت نحو ثلاثة قرون في الريف الشاسع المهجور ، وأكسب هذا طباعهم انحطاطاً بربرياً . لم يكن لدى هؤلاء القوم مفهوم للأخلاق ولا القانون ، ومستوى ذكائهم أقل بكثير من مستوى أي من الأمريكيين الأصليين .

لم يبد شيء من هذه الخطورة على ( جو سلاتر ) حين جاء إلى المصلحة ، مخفوراً بأربعة من رجال شرطة المقاطعة ، وقد وصفوه بأنه رجل خطير جداً . وبرغم أن قوامه كان أضخم من المعتاد ، وبرغم قوته العضلية ، فإنه كان يوحى بالغباء غير المؤذي يتبدى في عينيه العائيتين الزرقاوين الشاحبتين . كان سنه غير محدد لكننا استنتجنا من

الصلع في مقدمة رأسه ، وتحلل أسنانه أنه في الأربعين من العمر .

عرفنا من ملفات الشرطة أنه متسول وصياد وصانع فخاخ .. وأنه كان دوماً غريباً بالنسبة لقومه .. كان ينام في ساعة متأخرة من الليل ، ثم يصحو فيتكلم عن رؤى شاذة ، تثير الهلع حتى في قلوب القوم الذين يفتقرون إلى الخيال .. وكان هو نفسه خائفاً مذعوراً مثل مستمعيه .. وبعد ساعة من الاستيقاظ ينسى كل ما قال ، أو ينسى ما جعله يقول ما قال ، ويعود لطبيعة سكان الجبال النائية الطليقة .

وكلما تقدم ( سلاتر ) في العمر كانت حالته تزداد توحشاً وعنفاً ، ثم حدثت المأساة التي قادت به إلى المصلحة منذ شهر واحد .

ذات يوم صبحا عند الظهر بعد سبات طويل ، وراح يعوى عواءً مخيفاً غير أرضى ، حتى إن الجيران هرعوا إلى كوخه القذر . ومنذفعا إلى الجليد بالخارج رفع ذراعيه لأعلى ، وقام بعدة وثبات



نحو السماء ، وهو يتحدث عن بلوغ «كوخ كبير كبير .. يتألق سقفه وجدراته .. بينما الموسيقا الغربية البعيدة تأتي من بعيد ..» حاول رجلان أن يمسكا به فقاومهما بوحشية ، وراح يتكلم عن حاجته إلى قتل شيء «يلمع ويهتز ضحكاً ..»

ضرب أحدهما ، ثم وثب على الآخر بوحشية شيطانية دموية ، وراح يصرخ أنه «سيثب في الهواء ، ويحرق كل ما يعرفه ..»

فرت الأسرة والجيران ذعرًا ، وحين عادوا مستجمعين شجاعتهم لم يجدوا (سلتر) ، لكنهم وجدوا شيئاً يصعب تعرفه ، كان إنساناً من ساعات ..

ولم يحاول سكان الجبل البحث عن (سلتر) ، وتمنوا أن يكون قد هلك من البرد ، لكنهم بعد أيام سمعوا صراخه من واد ضيق سحيق .. فعرفوا أنه مازال حيًا .. كونوا مجموعة مسلحة منهم ، ولحق بهم أحد رجال الشرطة النادرين في هذه الأصقاع . وفي اليوم الثالث وجدوا (سلتر) فاقد الرشده في

تجويف شجرة ، واقتادوه إلى أقرب سجن . حيث فحصه أطباء عقليون منتدبون من (الباتى) .. ولهم حكى الرجل قصة بسيطة ..

قال لهم إنه نام بعد ظهر يوم ، وصحا ليجد أنه واقف في الجليد خارج كوخه ، ووجد يديه ملوثتين بالدم ، وجثة جاره (بيتر سلادر) مشوهة ملقاة عند قدميه .. فر وقد أصابه الهلع إلى الأحراش مبتعدًا عما حسبه جريمته .. لم تكن هناك حقائق أكثر بوضوحه تقديمها ، أو بوسع مستنظقيه استخراجها منه ..

وقضى (سلادر) ليلته دون أحداث ، إلا أنه في الصباح خطر لدكتور (بارنارد) الذي كان يراقب المريض ، أنه رأى طريقًا ما في عينيه الشاحبتين ، كما أنه شفته أظهرت حزمًا ذكيًا . إلا أنه عند الاستجواب لم يبد (سلادر) إلا الخواء العقلي المميز لسكان البلاد ، وكرر فقط ما قاله في اليوم السابق ..

في اليوم الثالث حدثت أول نوبات الرجل العقلية ، فبعد نوم قلق انفجر في جنون قوى ، إلى درجة أن

الأمر اقتضى أربعة رجال ليضعوه فى قميص  
الأكمام .. وأصغى الأطباء بعناية إلى هذياته الذى  
استمر نحو ربع ساعة ، وراح يتكلم عن الصروح  
الخضراء المضيئة ، وعن الموسيقى الغربية ، وعن  
الكيان الغامض الذى يهتز ويمخر منه .. وكانت  
قمة رغباته أن يفتك بهذا الكيان العجيب ..

ثم انتهت نوبة الهذيان ، فخبأ بريق الجنون من  
عينيه ، وسأل الأطباء عن سبب تقييده هكذا .. وقد  
فك الأطباء الحزام الجلدى عنه ، ثم أقنعوه بارتدائه  
لمصلحته الخاصة وبارادته ..

كان الأطباء حائرين بصدد مصدر قصص  
(سلادر) ، فهو لا يقرأ ولا يكتب .. ولا يمكن لتخيلاته  
أن تجيء من أية أسطورة أو خرافة شائعة .. كان  
يعبر بطريقته الخاصة ، ويهذى بأشياء لا يفهمونها ..

وسرعان ما اتفق الأطباء على أن الأحلام  
الغريبة هى أساس المشكلة .. أحلام قادرة على  
السيطرة على العقل المتيقظ لهذا الرجل النعس ..  
وهكذا حوكم (سلادر) بتهمة القتل ، وأفرج عنه

للجنون وعهد به إلى المصحة ، التى أتولى فيها  
منصباً شديداً التواضع ..

وكما تعرفون وقتها ، كنت بالغ الاهتمام بالأحلام ،  
لذا يمكنكم تخيل الحماس الذى شعرت به حين سمعت  
عن حالته .. وبدأ أنه يجد صداقة ما فى شخصى ..  
ربما بسبب للطريقة الرقيقة التى كنت أستجوبه بها .  
لم تتصل به أسرته قط ، وربما وجدت لنفسها رب أسرة  
آخر ، كما هو دأب سكان الجبال ..

وكنت أصغى لتخيلاته وأتساءل : كيف لمخلوق  
محدود الذكاء من سكان الجبال ، أن يملك هذا البريق  
من الخيال الجدير بعقري ؟ وكان منخص أبحاثى  
هو أنه - فى عالم الأحلام غير المادى - سيج  
(سلادر) عبر وديان مذهلة خلابة ، وحدائق  
ورياض ومدن فى منطقة لا يعرفها البشر ، وهناك  
لم يعد فلاحاً جاهلاً ، بل هو شخص مهم يتحرك بثقة ..  
لا يتهدده إلا كيان أثيرى مجهول لا يبدو أنه ذو  
مظهر بشرى . هذا الشيء قد أذى (سلادر) أذى  
مخيفاً لكن لا يمكن وصفه ، ومن هنا اشتاق (سلادر)



إلى الانتقام .. وبدأ لى أن علاقة ما تربطه بالكائن  
المضىء فى أحلامه .. لا أدري كيف ، لكنه كان  
يعتبر نفسه وعدوه كياتين مضيين من النوع  
ذاته .. وخطر لى أكثر من مرة أنه لو كانت الأحلام  
عالمًا ماديًا ، فإن اللغة المنطوقة لاتصلح وسيطًا  
لشرح هذا العالم . لم أخبر الأطباء الأكبر سنًا بهذا ؛  
لأن منتصف العمر أميل إلى النقد والسخرية ورفض  
الأفكار الجديدة .. ثم إن مدير المصحة قد أذرنى  
من قبل أنني أفرط فى العمل ، وأن عقلى بحاجة إلى  
راحة ..

كان لدى يقين أن الأفكار الأدمية هى عبارة عن  
حركة ذرات ، يمكن تحويلها إلى طاقة كالحرارة  
والضوء والكهرباء .. وهذا اليقين جعلنى أفكر فى  
إمكانية التخاطر (تليياثى) باستخدام جهاز خاص ،  
ولقد أعددت فى مبنى الكلية جهازًا خشبًا للإرسال  
والاستقبال ، أقرب إلى جهاز التلغراف فى تلك  
السنين التى سبقت اختراع اللاسلكى .. وجريت

الجهاز دون نجاح على زميل ، ثم وضعته مع أشياء  
أخرى للاستعمال فى يوم ما ..

أما وقد قابلت (سلتر) فقد أخرجت هذه الآلات  
وأعدت إصلاحها ، ونظرًا لحماستى قررت أن أجربها  
فى أول فرصة .. ولسوف أتحين أول فرصة من  
نوبات (سلتر) لأضع تلك الموصلات على جبينه ،  
والمستقبل على رأسى .. بالطبع لم أخبر أحدًا  
بتجاربى لكننى واصلت الإعداد لها ..

وفى اليوم الواحد والعشرين من فبراير عام 1901  
حدث الشيء . وإذا أنظر للأحداث الآن أشعر كم هى  
غير حقيقية ، وأسأعل ما إذا كان دكتور (فنتون)  
العجوز محققًا حين اتهم خيالى المتوتر . لقد أصغى  
لى بأهوية وهدوء ، ثم أمر لى بمسحوق مقو  
للأعصاب ، وأمرنى بالقيام بإجازتى السنوية بعد  
أسبوع من هذا ..

فى تلك الليلة كنت مهتاجًا حقًا ؛ لأن (جوسلتر)  
- برغم العناية الممتازة التى تلقاها - كان بالتأكيد  
يموت .. ربما هى حريته فى الجبال التى يفتقدونها ،

أو ربما اضطراب عقله قد فاق تحمل جسده .. وفى  
النهاية صار خمولاً ، وإن هبط الظلام ، غاب فى نوم  
غير مريح ..

لم أربطه بالحزام الجلدى ؛ لأنه كان أكثر وهنا من  
أن يكون خطراً .. لكننى وضعت على جيبته قطبى جهاز  
( الراديو ) الكونى . وتمنيت دون أمل كبير أن أتلقى  
رسالة أخيرة من عالم الأحلام فى الوقت القصير  
الباقى .. وعلى جيبنى ثبت جهاز الاستقبال ..

كان صوت موسيقا غريبة هو ما أثار انتباهى ..  
ذبذبات .. نغمات .. أوتار .. وأمام عيني برز مشهد  
جميل لا يصدق لجدران .. عواميد تستند إلى تيران  
حية ، تلتصق حول البقعة التى شعرت أننى أحلق فيها  
عالياً .. وامتزجت بهذا العرض البلاطى الفخيم ،  
لمحات من سهول واسعة ووديان خصيبة وجبال  
عالية ، يكسو قممها كل مشهد ساحر تستطيع عيناى  
أن تراه ..

وأدركت أن عقلى يملك مفتاح تلكم التحولات  
الساحرة .. وسط هذا الكون الفريدوسى لم أمض

كغريب ؛ لأن كل هذه المشاهد بدت مألوفاً لى .. كما  
بدت لأباد من البشر من قبلى ، وكما ستبدو لهم من  
بعدى ..

ثم جاء الطيف اللامع لأخى فى الضياء ، وراح  
يتكلم معى روحاً إلى روح . كنت تلك ساعة نصر  
لأن رفيقى يفر أخيراً من عبودية دائمة ، ليغيب  
وسط الأثير السرمدى .

سبحنا هكذا لبرهة من الوقت ، حين بدأت أشعر  
باضطراب وزيف فى الموجودات من حولنا .. كان  
قوة ما تجذبني ثانية إلى الأرض ، آخر مكان وددت  
أن أكون فيه الآن . وشعر الشكل الذى يحلق جوارى  
بتغير كذلك ؛ لأنه أنهى محادثته تدريجياً ، واستعد  
ليختفى بعيداً عن عيني . وعرفت منه أننا عائدان  
إلى القيود من جديد ، لكن بالنسبة له ستكون هذه  
آخر مرة .. وخلال أقل من ساعة سيذهب رفيقى  
عبر الطريق اللبني فى المجرة إلى حدود الأبدية ..

وكان هناك ما يشبه الصدمة حين نهضت فجأة  
من مقعدى ، ورأيت المحتضر على الأريكة يتحرك



حركة مترددة .. كان ( جو سلاتر ) ينهض حقًا ، لكن  
فى الغالب لآخر مرة . وإذ دققت النظر رأيت أن  
خديه الضامرين يتألقان بلون لم أعده فيهما من  
قبل .. الشفتان كذلك كانتا مزمومتين كأنما تتحكم  
فيهما شخصية أقوى ..

أعدت إحكام جهاز الاستقبال على رأسى أملًا أن  
التقط أية رسالة أخيرة يحاول المتوفى بثها ..

فجأة استدار الرأس نحوى ، وانفتحت العينان مما  
جعلنى أرتجف رعبًا مما رأيت .. إن الرجل الذى  
كان ( جو سلاتر ) يرمقنى الآن بعينين لامعتين  
واسعتين ، بدا كأن أزرقهما قد ازداد قتامة .. ولم  
يخامرنى شك أننى أهدق فى وجه يكمن خلفه عقل  
من رتبة أعلى من عقولنا ..

وسرعان ما وصلت الرسالة التى كنت أرتقبها ،  
وكانت بلغة الأفكار لكنها جلية جدًا .. إلى حد أننى  
حسبتنى ألتقاها بالإنجليزية ..

- « ( جو سلاتر ) قد مات .. »

جاءنى الصوت الذى تحجرت لسماعه روحى ،  
من مكان ما خلف جدار النوم .. ونظرت عيناى إلى  
أريكة الألم ، لكن العينين الزرقاوين كانتا بعد  
تحميلقان .. « من الخير له أن يموت .. لأنه ما كان  
ليحتمل الهوية الكونية .. جسده لا يستطيع أن يضبط  
نفسه لحياة الأثير . لقد كان أقرب إلى الحيوان  
وبعيدًا جدًا عن الإنسان .. لكن عن طريقه جاءتك  
الفرصة لتقابلتى ؛ لأن كانتك الأثير لا تلتقى مع  
كائنات الكواكب أبدًا ..

« أنا كيان شبيه بالذى تكونه أنت نفسك عندما  
يحررك النوم .. أنا أخوك الضوئى .. نحن نحيا فى  
فضاء بلا نهاية ، ونعيش فى زمن بلا نهاية .. أنا  
وأنت قد جلنا العوالم المحيطة بـ ( آركتوس ) ،  
وعشنا داخل الفلاسفة الحشرات الذين يعيشون فوق  
رابع أقمار المشترى ..

« لا أستطيع الكلام أكثر ؛ لأن جسدى ( سلاتر ) قد  
برد وتصلب وكف مخه عن إرسال الموجات .. كنت  
أنت صديقى الوحيد على هذا الكوكب .. الوحيد الذى  
بحث عنى فى رأس هذا المخلوق الراقد على الأريكة .

سنلتقى ثانية .. ربما فى الضباب المتألق لـ (أوريون) ..  
أو على قمة جبل فى آسيا فى عصور ما قبل  
التاريخ .. ربما فى حلم تراه الليلة ولن تتذكره .. أما  
الآن فأنا راحل .. يمكنك أن ترى الضوء المنبعث  
منى إذا نظرت الليلة إلى السماء ، قرب تلك النجمة  
التي تسمونها (الجل) أو (نجمة العفريت) .. »

وهنا توقفت موجات الأفكار ، وعدت أرمق  
العينين الزجاجيتين الميتتين .. زحفت إلى معصمه  
وتحسست نبضه ، لكنه كان معصماً متصلباً بارداً ..  
وانفتح الفم كاشفاً عن أسنان (سلتر) المتآكلة ..  
غطيت وجهه بالملاءة ثم عدت إلى غرفتي ..  
كنت بحاجة إلى نوم لا أتذكر أحلامه فيما بعد ..

والمغزى ؟ أنا لم أفعل سوى أن حكيت لك أحداثاً  
مرت بي ، تاركاً لك أن تفسرها كما تشتهي .. وكما قلت  
آنفاً ، فإن رئيسي الدكتور (فنتون) ينفي كل ما حكيت ..  
ويقسم أنني انهزت من الإرهاق العصبي ، وأنتى  
بحاجة إلى إجازة براتب .. إن (سلتر) ليس إلا  
مريض بارانويا ، تتبع هلاوسه من القصص الشعبية  
حيث نشأ ..

لكنني لم أستطع نسيان ما رأيت فى السماء ليلة  
مات (سلتر) .. لن أحكى شيئاً لكنني سأترك الكلام  
بالحرف للتقرير الذى كتبه عالم الفلك العظيم الأستاذ  
(جريت سيرفيس) :

«فى 22 فبراير 1901 ظهر نجم جديد مدهش ، فى  
موضع غير بعيد عن النجمة (الجل) ، ولم يكن أحد  
قد رأى نجوماً عند هذه النقطة من قبل .. وخلال  
أربع وعشرين ساعة صار النجم متألّفاً ، حتى إنه  
أخفى ضوء النجمة (كابيللا) ، وبعد أسبوعين بدأ  
ضوؤه يخبو .. وخلال بضعة أشهر لن يتمكن أحد  
من رؤيته بالعين المجردة ثانية » .

1919

\*\*\*



## الشجرة ..

عند منحدر تغطيه الأعشاب من جبل  
( مينالوس ) فى ( أركاديا ) ، توجد أكمة زيتون  
جوار أطلال دارة قديمة .. جوار الأكمة ذاتها  
قبر كان بهى الجمال فيما مضى ، وعليه آيات من  
النحت الساحر ، لكنه الآن تحلل كما المنزل .. وعند  
طرف القبر نمت شجرة زيتون ، استطاعت جذورها  
أن تخترق الرخام اختراقاً .. شجرة زيتون منفردة  
المنظر ، كأنها رجل مخيف أو جسد إنسان شوّهه  
الموت ، حتى إن القرويين يخشون المرور جوارها  
ليلاً حين يبرز القمر بين الأغصان المهشمة ..

إن جبل ( مينالوس ) مكان مسكون بـ ( بان )  
المخيف الذى يتبعه كثيرون ، ويشك القرويون فى  
وجود علاقة بين الشجرة وهؤلاء ، لكن أحد مربى  
النحل الذى يعيش فى كوخ مجاور حكى لى قصة  
تختلف ..

## الشجرة



منذ أعوام حين كانت تلك الدارة جديدة متألفة ،  
عاش فيها نحاتان هما ( كالوس ) و ( موسيدس ) .  
وكان عملهما يمتدح من ( ليديا ) إلى ( نيابوليس ) ،  
ولم يجسر واحد أن يقول إن أحدهما كان يفوق  
الأخر مهارة . كان كل الناس يمتدحون النحاتين ،  
ولم يخطر لأحد أن الغيرة الفنية قد تعكر صفو  
صداقتهما الأخوية ..

لكن طباع ( كالوس ) و ( موسيدس ) لم تكن  
متماثلة ؛ فبينما كان ( موسيدس ) يعربد ليلاً وسط  
ملاهى ( تيجيا ) ، كان ( كالوس ) يبقى فى داره  
ينعم بالجلوس فى الأيكة .. وهناك يتأمل فى الرؤى  
التي تلهم عقله ، ويصمم الروائع التي سيخلدها من  
الرخام الذي يتنفس .. وقال البسطاء إنه يستلهم  
الوحي من الأرواح التي تسكن الأيكة ؛ لأنه لم يكن  
يتخذ أية موديل حية معروفة .. وقيل إنه يستلهم  
حوريات الغابة بارعات الحسن ..

مشهوران هما ( كالوس ) و ( موسيدس ) حتى  
إن أحداً لم يندهش ، حين أرسل طاغية ( سيراكوزا )

رجاله إليهما ، ليتفقوا على تمثال ( تايك ) الذي أراد  
أن يشيده فى المدينة .. يجب أن يكون التمثال هائل  
الحجم بارع الصنع ؛ لأنه سيكون عجيبة البلاد  
ومقصد المسافرين .. ومن أجل هذا الشرف طلب  
من ( كالوس ) و ( موسيدس ) أن يتنافسا .. وطلب  
منهما ألا يخفى أحدهما عمله عن الآخر ، بل يمتحه  
النصح والرأى ، وهكذا سيكون لدى المدينة تمثالان  
أجملهما يذوى أمامه خيال الشعراء ..

رحب النحاتان بعرض الطاغية ، ولأيام لم يسمع  
الخدم إلا ضربات الأزاميل .. ولم يخف ( كالوس )  
و ( موسيدس ) ما صنعاه عن بعضهما ، لكنهما  
أخفياه عن العالم .. ذلك الجمال الذي كان حبيب  
الصخر منذ الخليقة ، بانتظار إزميل بارع يحرره ..

وفى الليل - كما فى الماضى - كان ( موسيدس )  
يقصد ملاهى ( تيجيا ) ، بينما ( كالوس ) يهيم فى  
أيكة الزيتون .. ولكن إذ مضى الوقت لاحظ الناس  
فى ( موسيدس ) افتقاراً إلى المرح ، وبدأ لهم هذا  
غريباً .. ومر الوقت ، لكن فى وجه ( موسيدس ) لم  
يبد ذلك الحماس المتوقد المتوقع ..



ثم ذات يوم تكلم (موسيدس) عن مرض أصاب  
(كالوس)، عندها فهم الجميع سر اكتبابه لأن  
صداقة الرجلين كانت قوية مقدسة .. ذهب كثيرون  
ليروا (كالوس)، وبالفعل كان وجهه شاحباً لكنه كان  
سعيداً، مما أعطى نظرتة سحرًا يفوق نظرة  
(موسيدس)، الذي كان شاردًا مشتتًا، وقد أبعد  
كل العبيد عن صديقه ليتفرغ للعناية به .. وخلف  
الستائر كان تمثالان لـ (تايك) لم يمسهما المريض  
وصاحبه من زمن ..

وازداد وهن (كالوس) برغم محاولات الأطباء  
الحائرين، وعناية صديقه (الفانقة) به، ومرارًا  
تمنى أن يحملوه إلى الأيكة التي أحبها ..

وجاءت النهاية ليرحل (كالوس) عن عالمنا  
هذا، وبكى (موسيدس) كثيرًا، ووعد صاحبه  
بضريح رخامي أجمل من قبر (موسولوس) .. لكن  
(كالوس) منعه من الكلام عن الرخام ثانية، ولم  
يطلب منه إلا شيئًا واحدًا: أن تدفن فروع من  
أشجار زيتون معينة جوار قبره لصيقة برأسه ..  
وسرعان ما مات ..

جميل بما يفوق الوصف .. ذلك الضريح الذي  
بناه ونحته (موسيدس) لصديقه الحبيب .. ولم ينس  
أن يزرع غصون الزيتون كما طلب (كالوس) ..

فما إن انتهى الحزن حتى بدأ (موسيدس) يعمل  
في تمثال (تايك) .. الآن صار المجد مجده  
بالتأكيد، وراح يعمل بلا انقطاع .. أما في الليل  
فكان يسهر جوار قبر صاحبه، حيث نمت شجرة  
زيتون قرب رأس النائم .. كان نمو الشجرة سريعًا  
للعناية، وكان شكلها غريبًا يوحي بالافتتان والنفور  
معًا ..

بعد ثلاثة أعوام من وفاة (كالوس) أرسل  
(موسيدس) رسالة إلى الطاغية، وتهامس القوم  
في أسواق (أثينا) أن التمثال العظيم قد انتهى ..  
في الآن ذاته كانت الشجرة قد بلغت حجمًا خرافيًا  
يفوق أية شجرة أخرى .. وجاء كثيرون ليروا  
الشجرة وينعموا بنحت (موسيدس) .. بهذا لم يعد  
الفنان وحيدًا قط، لكنه لم يتضابق لهذا .. بالأحرى  
كان يهاب الوحدة بعد ما انتهى العمل الذي شغف  
حواسه ..

كانت السماء سوداء في الليلة التي جاء فيها  
رسل الطاغية إلى ( تيجيا ) .. وعرف الجميع أنهم  
جاءوا ليحملوا تمثال ( تايك ) العظيم ، ويجلبوا  
المجد لـ ( موسيدس ) ..

كان الرجال سعداء ، وقد راحوا يتحدثون عن  
الطاغية المتألق ، وعن عاصمته العظيمة .. ثم تكلم  
رجال ( تيجيا ) عن طيبة قلب ( موسيدس )  
وصلاحه ، ومدى حزنه من أجل فقد صاحبه ..

تزايد عواء الريح ف شعر رجال ( سيراكوزا )  
و ( أركاديا ) بالتوتر ، وصلوا ..

وفي الصباح اتجه رسل الطاغية إلى المنحدر  
ليروا التمثال ، لكن ربح الليل كانت قد فعلت أشياء  
غريبة .. كان صراخ العبيد يتعالى من بين  
الخرائب ، ولم يبد أثر لغرفة نحت ( موسيدس ) ..  
لأن فوق هذا البناء السخى المترف قد سقط غصن  
ثقيل من الشجرة الجديدة ، ليحيل تلك للقسيمة  
البارعة المنحوتة من الرخام إلى حطام قبيح .  
ووقف الغرباء وسكان ( تيجيا ) يرمقون تلك

الشجرة العجيبة التي تمتد جذورها إلى أعماق قبر  
( كالوس ) ، والتي بدت بشرية تمامًا في هذه  
اللحظة .. أصابهم الهلع وازدادوا هلعًا حين راحوا  
يبحثون عن ( موسيدس ) وسط الحطام ، فلم يجدوا  
له أثرًا ..

حزن الفريقان .. أهل ( سيراكوزا ) حزنوا ؛ لأنه  
لم يعد تمثال يحملونه إلى الوطن ، وأهل ( تيجيا ) ؛  
لأنه لم يعد عندهم فنان يتوجونه .. واتصرفوا  
كأسفى الابل ..

إلا أن أكلة الزيتون ما زالت هناك .. كما مازالت  
الشجرة التي تخرج من قبر ( كالوس ) ..

وقال لي مربى النحل العجوز إن الأغصان تهمس  
لبعضها مرارًا وتكرارًا في رياح الليل :

- « أويدا أويدا ! ( أنا أعرف .. أنا أعرف ! ) » .

\*\*\*



## الصورة فى المنزل ..

إن الباحثين عن الرعب يقصدون عادة أماكن غريبة نائية .. ومن أجلهم وجدت سراديب الموتى من عصر البطالمة ، والأضرحة المنحوتة فى بلدان كابوسية ، ومن أجل الرعب يتسلقون أبراج القلاع الخربة فى الراين ، ويصعدون الدرجات التى يغطيها نسيج العنكب فى المدن المنسية فى آسيا .. الغابات الممكونة والجبال المهجورة هى مزارعهم .. لكن أفضل هذه الأماكن طراً هو المزارع المهجورة فى (نيوجلند) ؛ لأن عناصر القوة والوحدة والشناعة والجهل ، تجتمع هناك لتصل إلى الكمال فى فن البشاعة ..

أما أكثر الأماكن رعباً فهى تلك البيوت الخشبية غير المظلية البعيدة عن الطرق المأهولة .. منذ مائتى عام شيدت هنا حين زحفت الأغصان وتشعبت ، وهى الآن متوارية تماماً وسط فوضى

## الصورة فى المنزل



اللون الأخضر ، لكن النوافذ مازالت تطل بشكل  
مفزع ، كأنما ترمش في نعاس طويل قاتل ، تحاول  
به أن تنسى ما رآته كي لا تصطب بالجنون ..

وفي هذه البيوت عاشت أجيال من قوم غريبى  
الأنوار ، لم ير لهم العالم مثيلاً من قبل .. لقد طلبوا  
الحرية كوحوش البرية ، ولكنهم خضعوا في رعب  
للخيالات الكنيية التى أعاشتهم فيها عقولهم .. ولقد  
تفاعل بعدهم عن سبل الحضارة مع كبتهم المستمر  
وكفاحهم من أجل الحياة ، كى تتسلل إليهم عادات  
تمت بصلة لأجدادهم الشماليين البدائيين .. بالفلسفة  
كانوا قساة ، وبالضرورة كانوا عمليين ، لذا تعلموا  
أن يخفوا خطاياهم التى لم تكن جميلة قط ..  
وسرعان ما أصبح الكتمان عادة ..

فقط تقدر النوافذ فى المنازل أن تخبرنا عما حدث  
هنا فى قديم الزمن ، وما كانت لتثرثر كثيراً ؛ لأنه  
ما من شيء يغريها بالتخلص من النعاس الذى  
يساعدها على النسيان .. أحياناً يخطر للمرء أنه من  
الرحمة أن تدمر هذه المنازل ؛ لأنها تحلم بالكوابيس  
طيلة الوقت ..

عرفت هذا وأكثر فى عصر يوم من أيام نوفمبر ،  
وتحت مطر غزير جعلنى أشتهى الاحتماء تحت أى  
سقف .. كنت أسافر مع قوم من وادى ( مسكاتون ) ،  
أدرس أجناس القوم هنا .. وبحماسة اتخذت من  
دراجة وسيلة للسفر ، وهانذا الآن فى طريق  
مهجور ، هو الوحيد الذى يقودنى إلى ( أرخام ) .

كانت العاصفة شديدة ولا ملجأ هناك .. إلا البيت  
الخشبي الكنيب ، الذى تلمع نافذته بين أوراق  
الأشجار الغليظة ، عند سفح التل الصخرى .. إن  
الأماكن الطيبة الودود لا تحقق فى المسافرين بهذا  
الإصرار ، وكنت قد سمعت فى بحثى أساطير قرن  
كامل ، مما جعلنى أتوجس من مكان كهذا .. لكن  
الظروف كانت قاهرة إلى حد أننى لم أتردد فى أن  
أرفع دراجتى عبر المنحدر ، نحو الباب الذى بدا  
موحياً غامضاً ..

وكنت قد افترضت فى البدء أن المنزل مهجور ،  
لكنى نظرت إلى الأرض التى أمشى عليها .. حقاً  
كانت الأعشاب نامية ، لكن حالتها كانت أفضل من أن



توحى بفقر تام .. لهذا لم أفتح الباب ، لكنى قرعته  
شاعراً برجفة لا يمكن وصفها .. ولاحظت أن  
النوافذ لامعة غير مهشمة ، مما يعنى أن المنزل  
مأهول ، برغم أنه لا يلقى أية عناية .. لم تلق  
قرعأتى إجابة ، فجريت المزلاج الصدى ، فوجدت أن  
الباب غير موصد ..

بالداخل كان المدخل مغطى بدهان تساقط أكثره ..  
وشممت رائحة خفيفة لكنها كريهة بشكل خاص ..  
حملت دراجتى ودخلت .. وأرحتها على الجدار ، ثم  
فتحت الباب على يسارى .. بدا لى أن هذه غرفة  
جلوس ، ذات سقف واطن مضاءة بضوء خافت من  
نافذتين ، ومفروشة بأقل وأبسط أثاث .. كانت بها  
منضدة ومقاعد ، وبعض كتب لم أستطع قراءة  
عناوينها فى الضوء الخافت .. لكن ما أثار انتباهى  
بحق هو الطابع العتيق الكامل لهذه الغرفة .. لقد  
بحثت فى كل ركن فلم أر أثراً واحداً ، يمكن أن يمت  
لعصر ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية . يمكن أن  
يعد هذا المكان جنة لهواة جمع العاديات .. لولا ما فى  
الجو من شيء مقيت .. شيء يوحى بأسرار يحسن  
أن تسمى ..

كان هناك كتاب على المنضدة .. كتاب عتيق جداً  
إلى حد أننى اندهشت لرؤيته خارج المتاحف .. كان  
مجلداً بالجلد مع جوانات معدنية ، وكان فى حالة  
ممتازة يصعب أن تراها فى منزل كهذا ..

فتحت الصفحة الأولى فازدادت دهشتى .. لأنه  
كان وصف ( بيجافيتا ) لمنطقة ( الكونغو ) ، مكتوباً  
باللاتينية وطبع فى ألمانيا عام 1589 .. أثار هذا  
دهشتى ، ورحت أطلع الصفحات منبهرًا .. كانت به  
رسوم تمثل الزوج بطريقة خيالية ، ترسمهم  
بملامح أوروبية وجلود بيضاء .. هنا حدث شيء زاد  
من توتر أعصابى وشعورى بعدم الراحة .. إنها تلك  
الطريقة التى ظل المجلد كلما سقط منى ، يفتح نفسه  
على الصورة رقم 12 ، التى تمثل مشهداً شنيعاً لمتجر  
جزار من أكلة لحوم البشر ( الأنزيك ) .. خجلت من  
نفسى لحساسيتى ، لكنى لم أحب الصورة قط ،  
خاصة مع الفقرة التى تصف تحتها عادات الأكل  
لدى ( الأنزيك ) ..

كنت أتأمل باقى الكتب ، ومنها الإنجيل ، وكتاب  
( تقدم الحاج ) ، و .... حين تنأى إلى صوت  
خطوات لا يمكن أن تخطئه ، تتحرك فوق رأسى ..  
كأنما نائم قد صحا أخيراً بعد نعاس طيب .. صوت  
الخطوات تهبط الدرج ببطء .. كانت خطوات ثقيلة  
لم أحبها ، خاصة مع ما بدا فيها من حذر ..

كنت عند دخولى قد أغلقت الباب خلفى ، والآن  
أسمع خطوات القادم فى المدخل ، كأنما يتفحص  
دراجتى هناك .. ثم بعد لحظة ظهر عند فرجة الباب  
شكل ، لم يمنعنى من إطلاق صيحة دهشة لرؤيته  
إلا تربيتى الحسنة .. عجوز ذو لحية بيضاء له  
سحنة تجمع بين الاحترام والعجب .. لم يزد طوله  
على ستة أقدام وكان قوى البنية ، برغم ما يوحى  
به من فقر وشيخوخة .. عيناه الزرقاوان برغم أن  
الدم يخالط لونهما ، بدنا مخلصتين نفاذتين .. لكن  
هندامه الفظيع وقذارته جعلتا منظره منفراً برغم  
وجهه .. أما ما كان يلبس بالضبط ، فهذا شئ  
لا أستطيع الإمساك به ..

دعأتى إلى الجلوس على مقعد ، ثم بدأ يتكلم  
بصوت واهن متعب ، وكانت لغته غريبة جداً ، هى  
نموذج للهجة الشمال التى حسبتها انقرضت ..  
قال لى :

.. « اتزنقت فى المطر ؟ هه ؟ كويس إنك كنت  
جنب البيت ، وفكرت تيجى .. أنا كنت نائم وسمعى  
ما بقاش زى زمان .. مسافر ليه ؟ أنا بقى لى كتير  
ما باشوفش ناس على السكة دى ، من ساعة ما مشيت  
عربة ( أرخام ) .. »

قلت له إننى ذاهب إلى ( أرخام ) ، واعتذرت  
لافتحامى بيته بهذه الكيفية .. لكنه قال :

.. « كويس إنى شفتك .. الوجوه الجديدة قليلة  
هنا .. وما فيش حاجة تسلىنى .. إنت من المدينة ..  
مش كده ؟ أنا بعرف راجل المدينة لما أشوفه .. »

كان بحق رجلاً لطيف المعشر ، لكن له طباعاً  
غريبة .. ولمدة دقائق راح يثرثر بمرح ، حتى عن  
لى أن أسأله كيف حصل على كتاب مثل « مملكة  
الكوتغو » لـ ( بجافيتا ) . لحسن الحظ لم يضايقه  
المسؤال وأجاب بحرية :



- « آه .. الكتاب الإفريقي ؟ كابتن ( إبنزر هولت )  
بادلتني بيه سنة 68 بعدها مات في الحرب .. »

شيء ما في اسم ( إبنزر هولت ) جعلني أنظر  
بحدة .. لقد قابلت الاسم في أثناء دراساتي عن  
الأجناس .. وخطر لي أن أسأل مضيفي أن يعاونني  
فيما أقوم به .. وانتظرت حتى ينهي الكلام ..

« ( إبنزر هولت ) كان تاجرًا من ( سالم ) .. وكان  
بيلم حاجات غريبة من كل المواني .. اشترى الكتاب  
ده من ( لندن ) - وبحث في جيوبه عن عويناته ،  
ثم أخرج عوينات عتيقة غريبة الشكل ، وراح يقلب  
الكتاب على المنضدة في حب - » ( إبنزر ) كان  
يمكنه قراءة القليل من اللاتينية أما أنا فلا .. هل  
يمكنك ؟ »

قرأت له فقرة من البداية قدر ما استطعت .. ولو  
أخطأت فلم يكن هو على هذا القدر من الثقافة ،  
وكان مسرورًا لفكرة أن يسمع أحدًا يحكي له  
بالإنجليزية .. كان ساذجًا كطفل ، وسرني أن دعري  
الأول فارقتي ..

- « غريبة إن الصور بتخليك تفكر في حاجات  
عمرك ما فكرت فيها .. لكن أنا حاوريك أجمل حنة  
في الكتاب .. »

والتمعت عيناه وازداد صوته غلظة .. ومد يده  
يفتح الكتاب ، فإذا به كالعادة يفتح على الصورة  
رقم 12 التي تظهر محل الجزار لدى ( الأنريك ) ..  
عاد شعوري بعدم الارتياح غير أنني لم أظهره ..  
لكن مضيفي بدا متمتعًا بالصورة بالقدر الذي  
كرهتها به ..

- « كنت دائمًا أقرأ عن دبح الناس ، لكن عمري  
ما شفت المنظر .. أهوه المنظر قدامك ! مش بالذمة  
حاجة تقشعر ؟ بيتهيا لي دي خطينة .. لكن احنا كلنا  
خطاة على كل حال .. شوف ده ! الجزار قطع راسه  
ودراعه ، وهم الاتنين على القرمة جنب بعض ..  
حاجة تخلي جلدك يقشعر .. »

كان يتحدث في شغف واتبهار ، جعلنا حالتني غير  
قابلة للوصف .. وأدركت أنني أكره هذا الرجل من  
كل قلبي .. إنه مجنون أو شاذ الطباع بالتأكيد ..  
والآن كان يهمس بصوت حاد كأنه الصراخ فارتجفت :

- «زى ما قلت لك .. الصور بتخليك تفكر فى حاجات غريبة .. مرة جربت حاجة مسلية .. ما تخافش يا بنى .. كل اللي أنا عملته هو إن أنا كنت بابص للصورة قبل ما دبح الخرفان ..»

كان صوته ينخفض إلى حد أنه صار عسير السماع ، ومن بعيد كنت أسمع صوت هدير الرعد منذراً بعاصفة قادمة .. لكن الهامس لم يلاحظ شيئاً من هذا ..

- «قتل الخرفان كان ممتع .. لكن ما كنتش بيرضينى قوى .. الصورة دى خلتنى جعان لحاجة ما قدرش أربيها أو أشتريها .. لقعد ! أنا ما عملتش حاجة .. كل الموضوع اتى كنت بافكر فى الموضوع .. بيقولوا إن اللحمه بتجدد الدم .. فأتا قلت لنفسى ممكن البنى آدم يعيش كتير لو عمل حاجة كده .. ونويت أجرب ....»

لكن الشيخ الهامس لم يستكمل كلامه .. والسبب هو فكرة بسيطة جداً ، إلا أنها مصحوبة بحادث غير معتاد ..

كان الكتاب بيننا مفتوحاً على الصورة المربعة ، فلم يكد للرجل يقول : «ونويت أجرب ....» ، حتى دوى صوت طرطشة ، وظهر شيء على الورق المصفر .. فكرت فى أن الماء يسيل من ثقب فى السقف ، لكن المطر ليس أحمر .. كانت هناك لطخة حمراء تنتشر على الصورة فوق محل الجزار ، تعطى مسحة مفرعة للمشهد .. رآها الرجل فكف عن الهمس ونظر سريعاً إلى السقف .. حذوت حذوه ونظرت للسقف لأرى بقعة حمراء تنتشر ببطء هناك .. لم أصرخ أو أتحرك .. فقط أغلقت عيني ..

وبعد لحظة جاء هدير الرعد الجبار ، وأطاح بذلك البيت المشنوم الحافل بأسرار لا يمكن النطق بها ، وجلب للنسيان وهو الشيء الوحيد الذى أبقى على عقلى .



## الفصل الأول

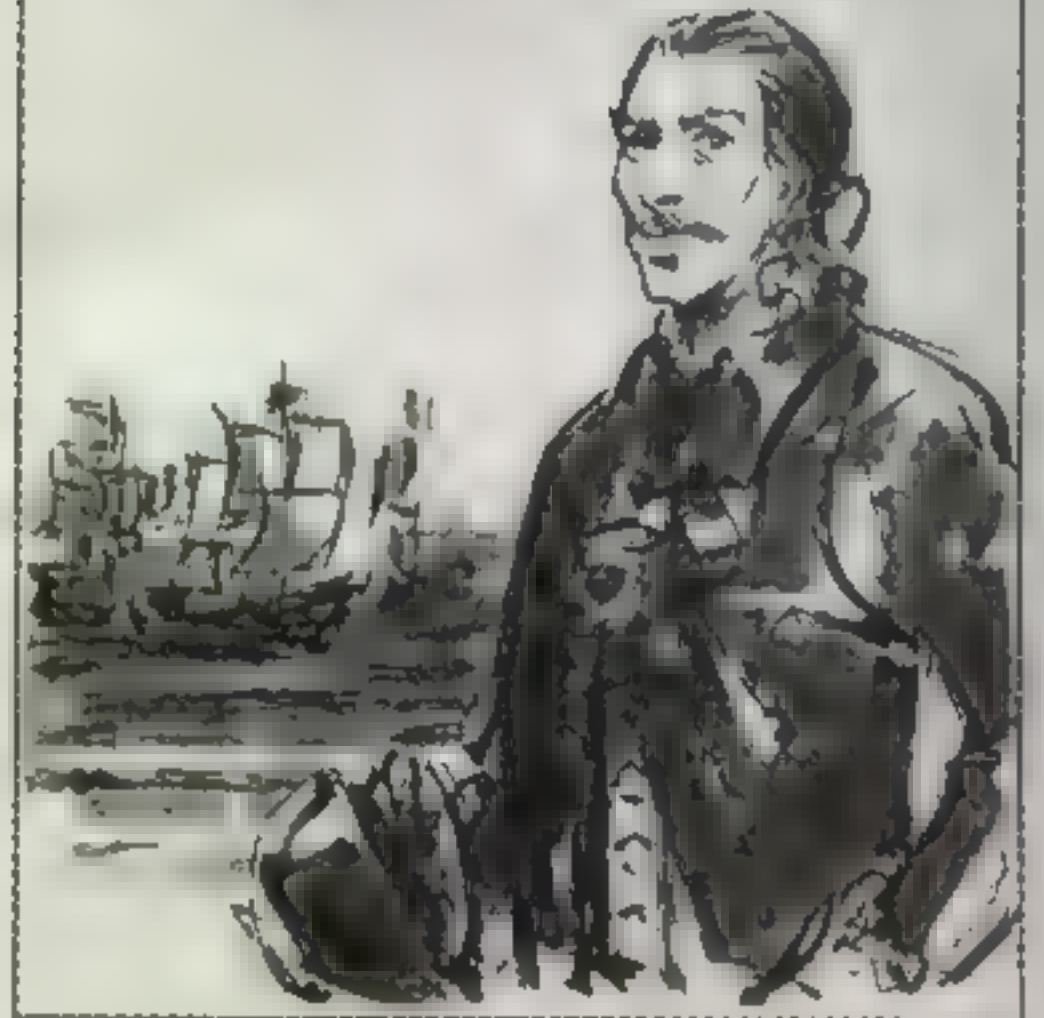
### مقدمة ونتيجة

1

من مصحة عقلية خاصة قرب (بروفيدنس) في (رود آيلاند) ، اختفى مؤخراً شخص متفرد يحمل اسم (تشارلز دكستر وارد) ، تم وضعه تحت الحجز برغم رفض أبيه للمحتضر ، الذي شهد تبديل ابنه من مجرد الشنود إلى جنون كامل ، قد يهدد بالقتل .. ويعترف الأطباء بحيرتهم إزاء هذه الحالة .. فمن البداية بدا المريض أكبر سناً مما توحى به سنو عمره الستة والعشرون . إن الخلل العقلي - هذا صحيح - يجعل المرء يشيخ سريعاً .. لكن وجه هذا الفتى كان يحمل طابعاً لا تراه إلا على وجوه الشيوخ .. ثانياً كان مرضه العضوي يظهر غرابة لا يوازيها شيء طبيياً .. لقد فقد صوته ، ولم يعد نبضه يتناسب مع تنفسه ، وهضمه صار بطيئاً وأقل من المعدل .. لقد اختفت

## حالة

### (\*) تشارلز دكستر وارد



(\*) ترجمة منقوبة بالتصرف ؛ لأن القصة الأصلية مفرطة الطول ، وبلاغة الشناعة !

وحمة تشبه الزيتون كانت على ردفه الأيمن ، بينما ظهرت شامة سوداء على صدره ، لم يكن لها أثر من قبل ..

نفسياً كذلك ؛ كان ( تشارلز دكستر ) متفرداً .. لم يكن جنونه من أى نوع معروف ، برغم أنه يملك طاقة عقلية كان يوسعها أن تصنع منه عبقرياً .. والحقيقة أن ( وارد ) كان أكاديمياً ودارساً للآثار ، وقد ازدادت حدة ذكائه بعدما أصيب عقله .. كما اتضح من الفحوص التى قام بها الأطباء المنتدبون ..

كان من الصعب نظراً لذكاء الشاب ، أن يتم للحصول على موافقة المحكمة على دخوله المستشفى .. فلم يتم هذا إلا بناء على شهادة البعض ، والثغرات التى اتضحت فى معلوماته العامة - وهى شئ غير الذكاء - وتم وضعه فى الحجز .. وحتى وقت فراره كان قارناً نهماً ، ومحدثاً ممتعاً بقدر ما يسمح به صوته الواهن .. وقد تنبأ ملاحظوه بأنه لن يمر وقت طويل قبل أن يظفر بإطلاق سراحه من الحجز ..

لم يكن أحد قلقاً بصدد حرية الفتى ، إلا د. ( ويليت ) طبيب الأسرة ، الذى جاء بالفتى إلى العالم ، وراقب نموه العقلى والبدنى .. فقد كان يعرف أشياء مروعة لم يجسر على إعلانها لزملائه فى المهنة ..

والحقيقة أن د. ( ويليت ) لغز محير بدوره .. فهو آخر من تحدث إلى الفتى ، وغادره وعلى وجهه مزيج من الرعب والرضا ، وقد تذكر الكثيرون هذا بعدما فر الفتى ، بعد ثلاث ساعات من اللقاء ..

لهرب نفسه غريب بحق .. ولم يكن لدى د. ( ويليت ) ما يعلنه بعده .. لكنه بدا أكثر راحة ورضاً .. ويبدو أن لديه ما يقول لو لم يسخر منه الآخرون .. إنه قد وجد الفتى فى غرفته ، لكن من جاءوا بعد ذلك قرعوا الباب عبثاً .. ولما فتحوه لم يجدوا إلا نسيم إبريل يطير سحابة من الغبار الرمادى المزرق .. صحيح أن الكلاب تبحت قليلاً ليلتها ، لكن ذلك حدث بينما الطبيب مازل هناك ، ولم تنبح بعد ذلك أبداً ..



لم يكن لدى (ويليت) ما يقول ، وكذلك الأب  
(وارد) العجوز .. وحتى هذه اللحظة لم يجد أحد  
أثراً للمجنون الهارب ..

كان (وارد) مولعاً بالآثار من صغره ، وبالتأكد  
اكتسب هذا الحب من رفات الماضي للموجودة في  
كل ركن من دار أبويه ، في شارع (بروسبكت) عند  
ذروة التل .. فلما نما نمت معه هذه الهواية الغريبة  
واحتلت كل جوانب اهتمامه .. هذه النقطة مهمة ؛  
لأن الفتى - حين استجوبه الأطباء - كان جاهلاً  
تماماً بالأحداث المعاصرة ، لكنه بدا كأنما يعيش في  
الماضي ، وكأنما انتقل إلى أزمنة قديمة عن طريق  
تنويم مغناطيسي مجهول .. من الغريب هنا أن الفتى  
بدا كأنما فقد كل اهتمامه بعلم الآثار ، ويبدو أن هذا  
بفعل الألفة والتعود .. فلم يكن يهتم إلا بتعلم كل  
شيء عن عالمنا المعاصر ..

حاول بالطبع أن يخفي هذا الحذف الذي جرى في  
ذاكرته ، لكن كل من رآه عرف أن برنامج الإطلاع  
كانت تمليه عليه حاجته إلى معرفة كل شيء عن

القرن العشرين ، والخلفيات الثقافية والعلمية له ..  
وهو شيء غريب لأنه ولد عام 1902 وتعلم في  
مدارسنا المعاصرة ..

ولقد تساءل الأطباء عن كيف ينوى الهارب أن  
يتصرف في عالمنا المعقد هذا ، ثم أدركوا أنه لا بد  
مختبئ في مكان آمن إلى أن يصل قدراً كافياً من  
العلم يسمح له بالتنقل ..

كانت بداية جنون (وارد) موضع جدل بين  
الأطباء .. د. (لايمان) - وهو حجة من (بوستون) -  
يقول إنه حدث بين عامي 1919 و 1920 في أثناء عام  
الفتى الأخير في مدرسة (موزس براون) ، حين  
كف عن دراسة الماضي ليبدأ دراسة المجهول ..  
ورفض أن يتخرج كي يتفرغ لدراسة ما هو أهم ..  
كان يقضى الوقت يبحث عن قبر معين تم حفره عام 1771 ،  
ويخص جداً له اسمه (جوزيف كوروين) .. لا ينكر  
أحد أن شتاءي 1919 و 1920 شهدا تغيراً عظيماً في  
(وارد) ..

من جهته يخالف د. (ويليت) هذا .. ويعتمد على معرفته الوثيقة بالمريض ، وأشياء معينة اكتشفها قرب النهاية .. ويرى أن العامين 1919 و 1920 يبدو أن كبدية لتحلل استمر حتى صورته الرهيبة عام 1928 .. لكن الفتى لم يكن قط متماسكاً نفسياً ، وكانت استجاباته غريبة لما يحدث من حوله .. إن التغير الحقيقي - كما يرى - حدث حين تم استخراج أوراق (كوروين) وصورته .. بعد رحلة قام بها الفتى لأماكن غريبة أجنبية ..

في هذا الوقت - يؤكد (ويليت) بحدة - بدأت التغيرات الكابوسية لدى (وارد) .. لقد رأى عاملان أوراق (كوروين) حين وجدها الفتى .. بل إن الفتى عرض هذه الأوراق على د. (ويليت) ومعها صفحة من مذكرات (كوروين) .. ثم هناك موضوع خطابي (أورن) و (هتشنسون) ومشكلة خط (كوروين) .. والأوراق التي وجدوها بحروف من القرون الوسطى ، في جيب (ويليت) بعدما استعاد رشده ..

دعك من الأشياء التي استنتجها الطبيب من معادلتين وجددهما ، وهي أشياء تبرهن على أصالة هذه الأوراق ، وأنها ولدت من المعرفة البشرية ..

\*\*\*



يجب على المرء أن ينظر إلى ماضى (تشارلز وارد) كإنه جزء من الآثار التى يهوى افتتاءها ودراستها .. فى خريف 1918 حين ساد الحماس للتدريب العسكرى ، بدأ دراسته فى مدرسة (موزس براون) ، فقد فتنه المبنى العتيق الذى شيد عام 1819 ، وكانت نشاطاته الاجتماعية محدودة .. كان يقضى الوقت فى المكتبة العامة ، ومجمع التاريخ ، ومكتبة (جون هاى) فى الجامعة .. ويمكن للمرء أن يراه كما كان فى تلك الأيام ؛ طويلاً أشقر ذا عيينين متأملتين وثياب غير مهندمة نوعاً .. يعطى انطباعاً بالارتباك غير الضار أكثر مما يعطى انطباعاً بالجابية ..

كان مجنوناً بالتاريخ منذ طفولته ، وكانت البلدة تحوى الكثير من الآثار .. كان الفتى يقضى الساعات بجوب المدينة ، ويستكشف كل شىء ، ولا بد أن هذه الجولات كانت هى الشىء الذى جعل عقله ينسحب من الحاضر ليعيش فى دنيا الواقع ..

كان د. (ويليت) واثقاً من أن اهتمام (وارد) بالآثار - حتى الشتاء الكئيب - كان خالياً من أى أثر للمرض .. لم تكن المقابر تمثل له أكثر من عرافتها وأهميتها التاريخية .. ولم يكن فى طباعه وحشية ولا قسوة .. ثم فجأة حدثت مضاعفات غريبة لتصر لحرزه فى دراسة الأنساب منذ عام ، حين اكتشف بين أسلافه رجلاً معمرًا اسمه (جوزيف كوروين) ، الذى جاء من (سالم) فى مارس 1692 ، والذى كانت قصص كثيرة تحكى همسا عنه ..

كان جد جد (وارد) قد تزوج فى عام 1759 امرأة تدعى (آن تلينجاست) حفيدة الكابتن (جيمس تلينجاست) .. وفى عام 1918 بينما هو - (وارد) - يفحص سجلات المدينة ، وجد أنه فى عام 1772 قامت السيدة (إليزا كوروين) أرملة (جوزيف كوروين) - هى وابنتها - باسترجاع اسمها قبل الزواج وهو (تلينجاست) .. «لأن اسم زوجها صار وصمة لما عرف عنه بعد وفاته .. وهى وصمة لا يمكن لزوجة مخلصنة أن تصدقها على كل حال ،

ما لم يتم إثباتها بما يفوق أى شك .. « الملحوظة الأخيرة كانت بين صفتين تم لصقهما بعناية بالغة ، ولم يجدها ( وارد ) إلا بعد مراجعة مرهقة لأرقام للصفحات ..

لقد عرف أنه وجد أخيراً جداً كبيراً كبيراً .. وكان يعرف القليل جداً عن الرجل ؛ لأن كل شيء عنه كان مخفياً ، كأنما هناك مؤامرة لجعل الرجل يعيش فى النسيان ..

قبل هذا الكشف كان ( وارد ) قانعاً بأن يتجاهل خيالاته بصدد ( جوزيف كوروين ) العجوز .. لكنه ، وقد أدرك قرابته للرجل ، راح يصطاد المعلومات بشكل منظم قدر ما استطاع .. وفى بحثه المتحمس نجح أكثر بكثير من كل توقعاته .. لأن الخطابات القديمة والمذكرات والمجلدات المغطاة بتسيج العناكب ، والتي لم يجد السابقون أهمية لتدميرها ؛ كانت ذات نفع بالغ له .. وجاء ضوء مهم من مكان بعيد مثل ( نيويورك ) .. حيث كانت بعض مراسلات ( رودأيلاند ) مخزونة فى أحد المتاحف ..

لشيء نو الأهمية البالغة ، والذي - فى رأى د. ( ويليت ) - يشكل حجر الزاوية للمشكلة ، هو الأشياء التى وجدوها تحت ألواح بيت مهدم عام 1919 فى ( لولنى كورت ) .. كانت هذه الأشياء بون شك هى ما فتح تلك الآفاق السوداء ، والتي كانت نهايتها أعمق من أية حفرة ..

\*\*\*

## الفصل الثانى الأسلاف والرعب

1

كان (جوزيف كوروين) - كما جسدت الأساطير  
التي سمعها وكشف عنها (وارد) - شخصًا مفرغًا  
غامضًا .. لقد فر من (سالم) إلى (بروفيدنس)  
المأوى الدائم لغرباء الأطوار . لأنه كان يخشى  
اتهامه بالسحر<sup>(\*)</sup> . كان رجلًا شاحبًا في الثلاثين من  
عمره .. سرعان ما اشترى بيتًا عند ناصية شارع  
(أولنى) ، فوق هضبة (ستامبر) غربى الشارع  
الرئيسى بالمدينة . وفى عام 1761 استبدل به بيتًا  
أكبر فى المكان ذاته .. وراح يمارس التجارة ،  
وكانت له علاقة ما بالبحر وسفينة ..

(\*) سالم أو ميلام هى المدينة الأمريكية التى اشتهرت بمحاكمات  
السحرات وحرقهن ، وكان يكفي أن يكون للمرأة نشاط غامض من أى  
نوع كى يعدم ..

أول الأشياء الغربية بصدد (كوروين) كانت أنه  
لم يشخ قط .. لقد ظل دومًا يحتفظ بمنظر رجل فى  
الثلاثين من العمر .. وبعد عقود بدأ الناس يلاحظون  
هذا ، لكنه كان يقول دائمًا إنه جاء من أصل قوى ،  
وإنه يعيش حياة بسيطة لم ترهق جسده . لم يكن  
ثريًا وكان أميل إلى العزلة ، لكن الناس قالوا إن  
سبب شبابه الدائم له علاقة ما بالكيمابويات التى  
يقوم بغليها طيلة الوقت ، والأضواء التى تظل  
ساهرة خلف نوافذه طيلة الليل .. وحين جاء  
(جابرز) العجوز ليفتح صيدلية فى (جريت  
بريدج) ، فإن الناس راحوا يتكلمون عن العقاقير  
الغريبة التى اشتراها (كوروين) منه ، وتلك التى  
اشتراها من (لندن) أو من (الإنديز) ..

ثمة أسباب أخرى جعلت الناس يتساءلون .. ثم  
يشكون .. ثم يخافون الرجل كأنه طاعون .. مثلاً  
ميله الشديد إلى المقابر ، التى كان يرى فيها كثيرًا ،  
وإن لم ير أحد منه سلوكًا يوحي بأنه غول ..



كانت لديه مزرعة يعيش فيها مع خالمين  
هنديين من هنود (الناراجاست) .. الزوج أصم  
وملئ بالندوب ، والزوجة منفرة المسحنة .. وكان  
الجيران يملكون أغرب القصص عن هذه  
المزرعة .. عن صرخات وأصوات عواء في الليل ..  
وعن ضخامة القطيع في المزرعة أكثر مما يحتاج  
إليه رجل عجوز وحيد وخالماه .. وعن كميات  
الطعام التي تدخل المزرعة لأربعة أفراد فقط ..

بالنسبة للطبقة الراقية أيضاً كان من الواضح أن  
(كوروين) رجل كريم المنشأ ، عرف العالم ، ومن  
الواضح رقى إنجليزيتة ، وإمامه ببعض الثقافة  
الشرقية ، لكنه - لسبب لم يفهموه - كان لا يهوى  
المجتمعات ..

في عام 1746 جاء مستر (جون ميريت) السيد  
الإنجليزي العجوز ، وهو رجل طيب المنشأ كريم  
المحتد ، إلى (نيوبورت) وعاش حياة مريحة  
محترمة ، فلما سمع (كوروين) أن لديه أفضل  
مكتبة في (بروفيدنس) ، قام بزيارته واستقبله

الأول بترحاب شديد . فلما رأى (كوروين) أن  
مكتبة مضيفه ذخيرة بروائع الفلسفة والأدب ، قام  
بدعوته إلى مزرعته ليرى مكتبته ، وذهب إلى هناك  
في عربة مستر (ميريت) .. اعترف مستر  
(ميريت) فيما بعد بأنه لم ير ما يربى في  
المزرعة ، لكن عناوين كتب السحر والتنجيم والفلك  
التي رآها ، كانت كفيلة بأن تثير لديه نفوراً شديداً ..  
وكانت هناك كتب يهودية سحرية كثيرة ، ومنها كتب  
(الكابالا) - السحر الأسود اليهودي - كما أنه وجد  
كتاب (نيكرونوميكون) الممنوع تداوله ، والذي  
كتبه (عبد الله الحظرد) ، والذي سمع عنه من  
أعوام حين انكشف أمر طقوس غريبة ، تمارس في  
قرية صيد اسمها (كينجزبورت) على ساحل  
(ماساتشوستس) ..

لكن أسوأ الأشياء عن (جوزيف كوروين) كانت  
تُقال عند المرقأ . إن البحارة قوم يؤمنون بالخرافات ،  
وقد كان موظفو (كوروين) وقباطنة سفنه أنفسهم  
يمقتونه ويهابونه .. أما بحارته فكانوا هجاء من

جزر للمارتينيك وهافانا وسانت أوستاتيوس ..  
وكانت الطريقة التي يتبدلون بها أو يختفى بعضهم ،  
لمن الأشياء التي أثارت الدهشة والحيرة ..

وفي عام 1769 صار ( جوزيف كوروين ) متبوءاً  
فعلياً ، متهما بكل ألوان الأحلاف الشيطانية ، التي  
كان أكثر ما يخيف فيها هو أن أحدا لا يعرف كنهها  
بالضبط ، أو يستطيع البرهنة عليها .. وكانت آخر  
قشة هي موضوع الجنود المفقودين عام 1758 .. لقد  
عسكر فيلقان ملكيان من الجنود في ( بروفيدنس ) ،  
في طريقهم إلى ( نيوفراانس ) .. سرت إشاعات  
كثيرة أن ( كوروين ) اعتاد الكلام مع الغرباء ذوي  
المعاطف الحمراء ، وبدأ كثير منهم يختفى .. مما  
ذكر الناس ببخارة ( كوروين ) الذين يختفون بشكل  
لا يمكن فهمه ..

في الوقت ذاته كانت حالته المادية تزدهر .. كان  
يحتكر تجارة الفلفل والقرفة والملح الإنجليزي في  
البلدة . وكان يملك أية شركة تتعامل مع النحاس أو  
الأصواف أو أية بضائع إنجليزية .. وصار من أهم  
مصدرى الزمن ..

وبرغم كونه متبوءاً ، فإنه شارك في كثير من  
الأعمال العامة والخيرية ، كأنما يطرد الظل الذي  
ألقي به في العزلة ، ولن يلبث أن يدمر ثروته ما لم  
يجد حلاً سريعاً .

\*\*\*

إن رؤية رجل كهذا يبدو كأنه في منتصف العمر ، لكنه في الحقيقة لا يقل عن قرن عمراً ، وهو يحاول الخروج من سحابة الشك والخوف التي تحيط به .. كان مشهداً درامياً يدعو إلى الشفقة والنفور معاً . لقد بدأ يقلل من كميات الطعام التي تدخل مزرعته ، ومن زيارته للمقابر ، وصارت الأصوات المنفرة الصادرة من مزرعته أقل .. لكن تأثير هذا كان بسيطاً ؛ لأن حقيقة شبابه الدائم كانت كفيلة بجعل الناس ينفرون منه أبداً ..

وكان من الواضح أن تجاربه - أيًا كانت - تحتاج إلى ثروة هائلة لتحقيقها ، وكانت أعماله هنا تدرك له هذه الثروة ، بالتالي لم يكن على استعداد للبدء من جديد في مكان جديد .. ووجد أن عليه أن يحسن علاقاته مع القوم في (بروفيننس) ؛ حتى لا يصمتوا حين يروونه ، أو يختلقوا الأعذار للانصراف ..

هنا وجد الفكرة المناسبة .. كان يعيش حياة رهبنة كاملة ، وخطر له الآن أن يتزوج .. سيدة

ذات وضع اجتماعي يكفل له أن يجد مكانة محترمة في المجتمع .. وكان بالطبع يعرف أن الناس يلقونه بذعر وتهيب ، لذا راح يبحث عن زوجة يمكنه أن يمارس بعض الضغط على أبويها ..

هنا ضيق البحث إلى بيت أحد قباطنته الطيبين .. إنها سيدة كريمة النسب اسمها (دوتى تلتجاست) لها ابنة تدعى (إيزا) .. وقد وافق أبوها بعد مقابلة مروعة أن يمنح ابنته للرجل ..

في هذا الوقت كان عمر (إيزا تلتجاست) ثمانية عشر عاماً ، وكانت أمها متوفاة .. لا بد أنها تجادلت مع أبيها بصدد الزواج من (كوروين) وكانت محاورات مؤلمة حتماً . لكن خطبتها إلى الشاب (إيزا ويدن) فسخت ، وعقد زفافها في 7 مارس 1763 في كنيسة المعدانية .. وفي حضرة أكثر التجمعات تميزاً في المدينة ..

كان البيت الجديد في (اولنى كورت) ، ولم تشب الحياة فيه أية أمور غريبة ، لكن (كوروين) كان كثير التغيب في مزرعته في (بوتاكست) . ولم يكن



هناك من ظل يحتفظ بكراميته لـ (كوروين) الآن إلا ضابط البحرية الشاب ، الذي فسخت خطبته إلى (إيزا تلتنجاست) ، فقد أقسم على الانتقام صراحة ..

في السابع من مارس عام 1765 ، ولدت طفلة (كوروين) الوحيدة (آن) .. وتم تعميدها في كنيسة الملك التي انتسب إليها الزوجان الآن .. وقد لاحظ (دكستر وارد) الشاب أن سجلات الزواج والطفلة قد تم محوها من أكثر ملفات البلدة .. لكنه وجدها بعد بحث مضمّن ساهم بالتأكد في حالة الجنون التي وصل إليها في النهاية ..

في الوقت ذاته كان الفتى (إزرا ويدن) لا يكل من تكرار أن (كوروين) بالتأكيد يمارس أعمالاً شيطانية ما ، وكان يراقبه بعناية من بعيد .. إلى درجة أن الكلاب عضته ذات مرة وهو يتلصص على المزرعة ..

\*\*\*

3

في عام 1766 بدأت مخايل غريبة تظهر على (كوروين) .. لقد كف عن حالة الترقب التي يمر بها ، وبدأ عليه نوع من الرضا والشعور بالنصر .. مما جعل القوم يتهايمون في البلدة .. والغريب هنا أن الناس لاحظوا أنه يقول أشياء ، ما كان يوسع أحد أن يعرفها سوى أجدادهم ..

ازدادت نشاطاته السرية ، وبدأ يلقي بالمزيد من مسئوليات سفنه على عاتق بحارته ، الذين كانت تربطه بهم أواصر قوية من الخوف والرغبة .. بدأ يهجر تجارة العبيد زاعماً أن مكاسبها لم تعد مجزية . وكف عن رحلاته البحرية المربية ليلاً ، وهي رحلات كان القوم يبررونها بتوتر ظروف التجارة والضرائب في هذا الوقت .. كان التهريب يتم على قدم وساق . لكن (إزرا ويدن) الذي لم تغفل عينيه عن المراقبة ، كان يعرف أن مايتحاشاه (كوروين) ليس هو سفن صاحب الجلالة ملك

بريطانيا .. وإن وجد أن مهامه البحرية تعوقه عن المراقبة للصيقة ، فقد استأجر صديقاً له يدعى (إليغازر) كي يتولى المراقبة في غيابه ..

لا يعرف أحد ما رآه الرجلان ، لكنه لم يكن محبباً ، وكل ما يمكن معرفته هو ما دونه (إليغازر) في مفكرة لديه .. ومنه نفهم أن المزرعة كانت مجرد غطاء لعمل مخيف لا يوصف .. ومن المفهوم أن الرجلين استنتجا أن هناك عدداً هائلاً من الممرات والأنفاق تحت المزرعة ، بها عدد لا بأس به من القوم ، بالإضافة إلى الهندي العجوز وامراته .. بدا لهما أن هناك عدداً ما من الأسرى - من جنسيات مختلفة - والحراس و(كوروبين) الذي كان يفهم ويتكلم كل هذه اللغات ..

قال (إليغازر) في مفكرته إنه كان يسمع أطرافاً من محادثات بلغات لها طابع الاستجواب ، ولأنه كان بحاراً فقد كان يفهم بعض تلك اللغات .. وإنه سمع على سبيل المثال شخصاً غاضباً يتم استجوابه بالفرنسية ، عن مذبحة الأمير الأسود في (ليموج)

عام 1370 ، ويبدو أن المستنطق لم يظفر بإجابة ، من ثم لجأ إلى أساليب عنيفة ؛ لأن صرخة مروعة بوت من هناك ..

فيما بعد يبدو أن الرجلين وجدا أشياء غريبة لا تسر الناظرين في مياه النهر الذي يجري خلف المزرعة .. إن النهر يمر على مقابر هنود حمير قديمة ، ومن الممكن أن تكون هذه للمخلفات منهما ، لكنهما لسبب ما لم يشعرا أن هذه هي الحقيقة ..

كان العام 1770 - بينما الرجلان مستمران في التجسس عاجزان عن اتخاذ قرار - حين وقعت حادثة (فورتاليزا) . كانت دوريات سفن الجمارك تفتش بعناية أية سفن غريبة ، بعد حادث احتراق السفينة (ليبرتى) في (نيوبورت)<sup>(٥)</sup> .. وقد قامت سفينة صاحب الجلالة (سيجنت) بتفتيش سفينة الشحن الأسبانية (فورتاليزا) التي يقودها القبطان

(٥) تدور القصة في فترة صاخبة من التاريخ ، حين كانت المستعمرات البريطانية تحاول الانفصال عن بريطانيا ، لتكون ما نعرفه اليوم باسم الولايات المتحدة . وكانت بريطانيا تفرض ضرائب باهظة على تجارة المستعمرات . وسمي صاحب الجلالة تفتش كل السفن الداخلة والخارجة بحثاً عن بضائع مهربة

(ماتويل آرودا) ، وكانت قائمة من مصر متجهة إلى (بروفيدنس) .. وبتفتيشها تكتشف الحقيقة الغريبة أن كل حملاتها كانت موميאות فرعونية .. لم يدر البريطانيون ما يصلون ؛ فالسفينة لا تحمل بضائع مهربة ، لكن دخولها كان غير قانوني ، ومن ثم أخلوا سبيلها مع منعها من الرسو في (رود آيلاند) ..

ولم يحتج سكان البلدة حين عرفوا بالقصة ، إلى أي جهد كي يربطوا بين محتوى هذه السفينة وبين (كوروين) ، الذي اشتهر بولعه بالمقابر وتجاربه الكيميائية الغامضة ..

في خريف 1770 قرر (ويدن) أن الوقت قد حان ليعرف الآخرون بعض ما عرفه ، فلدبه حقائق عديدة يمكن ربطها ، ولديه شاهد عيان ينفي عنه التهمة المحتملة ، أن الغيرة هي ما جعلته يزعم ذلك ..

وفي الطابق العلوي من الحانة ، راح الشابان يحكيان ما شهداه للكابتن (ماتيسون) ، وهو صديق

حميم لـ (ويدن) ، ثم إنه رجل نو حيثية ونفوذ في البلدة ، وكان ما حكياه غريباً صادماً للرجل ، لكنه كان يتوقع سرّاً غامضاً محيطاً بـ (كوروين) ، وقد أصغى لهما .. ثم قال إنه سيطلع بعضاً من عليه القوم راجحى الرأي على الموضوع ، لكنه حذرهما من أن يعرف الدهماء بالأمر حتى لا تكون فتنة ، ويعم الاضطراب ، وتكرر مأساة حرق الساحرات في (سالام) ..

ولم يتوقع الكابتن (ماتيسون) النتيجة العظيمة لإطلاعه الرجال على ما عرف .. صحيح أن اثنين سخرا من الأمر واعتبرا خيال شابين ، إلا أن الباقين جميعاً كانوا يؤمنون أن (كوروين) تهدد دائم للبلدة ، وما يقوم به شر لا بد من عمل شيء بصده ..

وتملك القوم شيء كالخوف .. كانوا يعرفون في قرارة أنفسهم ، أن (كوروين) شخص لا يجدى معه إبلاغ السلطات ولا جعته يترك المدينة .. لا بد من شيء أقوى وأكثر فعالية من هذا .. وحتى لو وافق المخلوق الشرير على الرحيل ، فليس هذا سوى نقل القاذورات من مكان ووضعها في مكان آخر ..



كان الزمن زمن اللاقانون .. وقد تحدى هؤلاء  
القوم ملك بريطانيا ذاته ، فلن يعجزوا عن قهر  
( كوروين ) .. فلو اتضح أن الرجل مجنون يكلم  
نفسه في مزرعته بصوت عال ، فسوف يوضع في  
مصححة .. أما لو اتضح أن الأمر أخطر من هذا  
فلا بد من قتله وقتل الرجال الذين معه ..

فبينما هذه المناقشات الخطرة تدور ، حدث حادث  
مروع بلاتفسير ، لم يعد من سيرة للقوم غيره بعد  
حدوثه ..

قدم القوم بعمل ترتيبات لاعتراض البريد القادم  
إلى ( كوروين ) ، وقد وجدوا رسالة موجهة له من  
( سالم ) ، ممن يدعى ( جدياه أورن ) ، وقد جعلتهم  
يغرقون في تفكير عميق ..

كان نص الرسالة كما قرأه ( تشارلز دكمتر )  
فيما بعد هو :

« يسرني أنك مازلت تحصل على المادة القديمة  
بطريقتك .. ولا أحسب مستر ( هتشنسون ) في  
( سالم ) قد حقق نتائج أفضل .. إن ما أرسلته لي

لم يعمل ، ربما لأن الكلمات التي كتبتها أنت أو  
لفظتها أنا لم تكن سليمة ، أفهم جيداً أن الأجزاء  
يجب أن تكون سليمة كلها ، لكن هذا عسير .. إنني  
لا أملك براعتك في الكيمياء ، لكنني أذكرك بالأتجلب  
ما لا تقدر على إعادته .. وأذكرك ألا تخاطبني باسم  
( سيمون ) بل باسم ( جدياه ) .. إن في مجتمع كهذا  
قد لا يعيش المرء كثيراً .. وأنت تعرف خطتي  
للعودة باعتباري ابني .. إنني راغب في معرفة  
ما تعلمه الزنجي من ( سيلفاتوس كوسيديوس ) تحت  
أسوار روما .. »

كان هناك خطاب مريب آخر كتب بلغة أجنبية  
مجهولة الحروف ، وقد وجد ( وارد ) تقليداً لها في  
الوثائق ، وعرف من جامعة ( براون ) أنها الكتابة  
الأمهرية أو الأثيوبية ..

لم تصل هذه الخطابات قط إلى ( كوروين ) ، لكن  
اختفاء ( جدياه أورن ) من ( سالم ) بعدها ، يدلك  
على أن القوم في ( بروفيدنس ) اتخذوا خطوات  
جادة ..

هكذا راح البحارة والعمال الأقوياء يجتمعون في  
الحانة ، ويرسمون الخطط للهجوم على المزرعة ،  
ومحو أى أثر لـ (كوروين) من البلدة .. ويبدو أن  
(كوروين) شعر بشيء من هذا ؛ لأنه صار يتواجد  
في المدينة أكثر من اللازم ، وعلى وجهه نظرة  
قلقة ..

\*\*\*

4

تقول الوثائق إن جمعا من مائة رجل وقادتهم ،  
اجتمعوا في العاشرة من مساء يوم 12 إبريل 1770 ..  
كانوا ينتظرون قدوم (إزرا ويدن) الذي كان يقف  
أثر (كوروين) ، ويخبرهم برحيل عربته نحو  
المزرعة .. وعندما سمعوا هدير العربة وهي تمضي  
على الجسر ، حملوا الحراب والبنادق الثقيلة  
والغدارات ، واتجهوا نحو المزرعة ..

وصلوا إلى مزرعة (فيرن) المجاورة بعد ساعة  
وربع ، حيث عرفوا أن (كوروين) قد بلغ مزرعته ،  
وأن ضوءاً غامضاً للتمع في السماء مرة ، ثم ساد  
الظلام كل النوافذ بعدها .. انقسم الرجال إلى مجموعات ؛  
مجموعة من عشرين رجلاً تحرس الشاطئ ، وتتأكد  
من عدم وصول إمدادات لـ (كوروين) .. مجموعة  
أخرى تدور حول المزرعة ، وتفجر الباب الخشبي  
الكبير بالبارود .. المجموعة الثالثة تقوم بالالتحام  
وحصار المزرعة ..

وقضى الرجال الليل ينتظرون الإشارة ، وكان ذلك عند الفجر ، حين جاء رسول مغبر له عينان شرستان ورائحة غريبة كريهة ، وقال لمن معه أن يتفرقوا ، ولا يتساءلوا ثاتية عن أسرار من كان يدعى (جوزيف كوروين) .. شىء ما فى مشية الرجل جعلته غريباً بالنسبة لهم .. وبرغم أنه كان بحاراً يعرفه الكثيرون ، فإن شيئاً ما قد تبدل فى روحه ، وقد تكرر هذا كثيراً كلما لاقوا واحداً آخر من رفقاتهم الذين دنوا أكثر من منطقة الرعب ؛ لأنه كان دائماً يكتسب أو يفقد شيئاً لا يمكن تحديده فى شخصيته .. لقد أصيب الجمع بهلع لا اسم له ، أو شك على إغلاق شفاههم .. وخرجت إشاعات قليلة جداً حول هذه الحملة ، إلا أن (تشارلز دكستر وارد) وجد فيما بعد بعض الوثائق فى مكتبة (نيولندن) ، كتبها آل (فيرن) الذين كان يوسعهم أن يروا المزرعة الملعونة بوضوح تام .. ويسمعوا نباح كلاب (كوروين) الغاضبة ..

لقد سمعوا الطلقة التى تعلن بدء الهجوم ، ثم رأوا نوراً هائلاً يخرج من المبنى الحجرى بالمزرعة ،

ثم صوت صراخ غريب مريع عبر عنه الكاتب بالحروف «وارررر ! وارررر !» ، إلا أنه قال إنه ما من حروف تعبر عنها جيداً ، وإن أمه فقدت الوعي لدى سماعها .. بعد ساعة راحت الأرض تهتز بعنف حتى إن الشموع اهتزت على رف المدفأة .. ثم فاحت رائحة كبريت قوية .. من جديد عاد صوت طلقات الرصاص مع تلك الصرخة ، التى كانت أقرب إلى سعال أو غرغرة ، إلا أن طابعها المستمر جعلها تبدو للأذان كصرخة ..

ثم اندلع اللهب من المزرعة ، ودوت صرخات الرجال اليائسة الخائفة .. وبعدها تصاعد ضباب أحمر من المزرعة نحو السماء .. وأصيب الجميع بالذعر .. ذعر جعل ظهور ثلاث قطط تنقوس ، حيث جلست جوار المدفأة فى مزرعة (فيرن) .. ثم جاء صوت منغم منغم بالشر قادمًا من لا مكان .. يقول بالحرف كما دون الكاتب :

— « دسميس جيشيت يون حوسيف دووما إيتيموس ! »



وحتى عام 1919 لم يربط إنسان بين هذه الحروف ، وبين أية خبرة معروفة لعالم الأحياء ، لكن (دكستر) تعرف ما وصفه (ميراندولا) بأنه الرعب الأقصى بين تعاويذ السحر الأسود .. وكأنما تجيب على هذه التعويذة اشدلت صرخات هلع مريضة من المزرعة .. مع رائحة كريهة لم يشمها أنف بشرى من قبل ، وبعدها ساد الصمت والظلام ..

وقرب الفجر جاء رجلان - تفوح منهما رائحة كريهة لا توصف - وقرعا باب أسرة (فيرن) ، طلبا بعض الشراب ودفعاً ثمنه .. وقال أحدهما إن موضوع (كوروين) انتهى ، وإن أحداث الليلة لا يجب ذكرها ثانية .. وهذا هو ما دفع (فيرن) إلى أن يطلب من قريبه أن يدمر الخطاب بعد قراءته ، لكن القريب الذي لم يطمع الأمر ، قد أنقذ القصة من التسيان للأبد ..

وكان آخر ما عرفه (وارد) هو أن القوم وجدوا - بعد أسبوع من إعلان موت (كوروين) رسمياً - جثة متفحمة على العشب .. وكان الغريب أن هذه الجثة لا تمت بصلة شبه إلى البشر ، ولا أى حيوان سمع الإنسان به أو قرأ عنه ..

لم يتكلم واحد من الذين شاركوا فى تلك الحملة الليلية ، ومن المصيف أن تلاحظ الدقة التى حرصوا بها على تدمير كل وثيقة تشير إلى ما قاموا به .. كان تسعة بحارة قد هلكوا ، لكن أسرهم اقتنعت بما قيل عن هلاكهم فى معركة مع شرطة الجمارك .. نفس التفسير قدمه الرجال المجروحون - إلا أن اللغز الذى حير القوم فى البلدة هى تلك الرائحة الكريهة القوية ، التى كانت تفوح من الرجال بلا انقطاع ..

ومن لحظتها تخلصت البلدة من كل ما يشير إلى (كوروين) فى أوراقها ، وأرغمت الزوجة والابنة على تغيير اسميهما .. كأنما لم يكتف القوم بجعل الرجل يكف عن الكينونة ، بل جعلوه يكف عن الوجود فى الماضى ..

أما المزرعة فظلت مهجورة حتى عام 1880 ، ثم بدأت تتهدم ، فلم يبق منها إلا أطلال متداعية .. ولم يجسر أحد على الذهاب هناك ليرى عالم (كوروين) من قريب ..

\*\*\*

## الفصل الثالث

### بحث واستغاثة

1

كما رأينا ، عرف (تشارلز وارد) للمرة الأولى عام 1918 بنسبه إلى (جوزيف كوروين) ، حتى إنه اهتم في الحال بكل ما يمت لهذا اللغز البائد.. وما كان بوسعه - وهو عالم السلالات وأنساب الأسر - ألا يكرس كل جهده لمعرفة كل شيء عن (كوروين) هذا ..

كان على (وارد) أن يرى بيت جده القديم في (أورن كورت) ، والذي سره أنه على بعد مرمى حجر من بيته هو .. لم يكن قصراً ، لكنه مجرد بيت قديم ذي طابقين ، شيد على طراز المستعمرات في (بروفيدنس) ، له سقف منحدر ومدخنة ، ولم يكن به من الخارج إلا بضعة تغيرات .. وكانت أسرة من الزوج من غسلة الملابس تعيش في البيت الآن .. ولما كان أفراد الأسرة يعرفونه ، فقد سمحوا له

بتفقد البيت .. (آسا) العجوز وزوجته الباسلة (هانا) .. كان البيت قد تبدل كثيراً من الداخل ، وفقد زخارفه الأنيقة ، كما أن الجدران قد غطيت بورق حائط رخيص .. حقاً لم يجد (دكستر وارد) ما كان يبحث عنه ، لكنه تحمس لفكرة أنه يقف بين الجدران التي ضمت يوماً جده المخيف (جوزيف كوروين) .. راح يبحث بعينه في جدران أية غرفة واسعة بما يكفي ، كي تكون مكتبة الشريد العجوز ..

بعد ساعة من البحث ، وجد غرفة أرضية واسعة .. ووجد حين خدش الطلاء فوق مدقاتها أن تحته طبقات من زيت ، مما يوحي بصورة زيتية هائلة الحجم كانت هناك .. راح يحاول بعنف غير مبال بخدش الجدار ، ثم وجد أن عليه طلب عون خبير استنقاذ اللوحات القديمة ..

بعد يومين عاد مع قنان واسع الخبرة هو (مستر والتر دوايت) ، وقد قام هذا الأخير باستعادة اللوحة باستعمال كيماويات خاصة .. وقد دفع مبلغاً مناسباً للزوجين الزوجيين ، تعويضاً عن تخريب جدار

بينهما بهذا الشكل .. ويوماً بعد يوم راحت معالم الصورة تتضح ، في البداية من أسفلها إلى أعلى .. ثم بدأ الوجه يولد ببطء ، وكان لرجل هلاي الملامح يضع جمّة أنيقة ، ويرتدى معطفاً أزرق ، جالساً أمام نافذة تتراءى منها سفن في عباب البحر .. وهنا فقط أدرك ( وارد ) والفنان في ذعر العوبة الوراثية عبر القرون ..

كان اتبهار ( وارد ) هتلاً حتى أنه أسرع بإحضار أبويه ليرويا هذه المعجزة .. لم تكن الأم تحمل أي شبه لجدّها ، لكن الأب اتبهر بالشبه إلى حد أنه عرض مبلغاً ضخماً من المال على صاحب الدار ، كي يقبل أن يسمح له بانتزاع الصورة سليمة من على الجدار وينقلها إلى داره .. ذلك برغم اعتراض الأم الشديد ..

وبصوبة شديدة ، وبالاستعانة بحرفيين بارعين من إحدى شركات الديكور ، تم نقل الصورة لتثبيتها فوق مدفأة كهربية في غرفة مكتب ( تشارلز دكستر ) بالطابق الثالث .. وبينما ( وارد ) يشرف على عملية النقل ، وجد تجويفاً بين قطع القرميد فوق مكان الرأس في اللوحة .. كان التجويف مليئاً بالغبار ونسيج العنكب ، لكن معها أيضاً كانت مجموعة من

الأوراق المصفرة ، ومادة متآكلة يبدو أنها رباط كان يحزم الأوراق معاً ..

تحسس ( وارد ) الأوراق ، فوجدها مكتوبة بالإنجليزية إلا أنها بنوع غريب من الكتابة ، تعلم قراءته من قبل في الجامعة .. وكان المكتوب هو « ملاحظات جوزيف كوروين عن سالم وبرفينس » .. وقد تحسس ( وارد ) بما يفوق للوصف ، وعرض هذه الأوراق على الحرفيين ، اللذين فيما بعد لقرا بأنها أصلية تماماً .. ويعتمد د . ( ويليت ) على ما شهدا به من أن الفتى لم يكن مجنوناً على الإطلاق وقتها ..

في مقدمة الأوراق كتب ( كوروين ) بخط يده :

« إلى من يأتي بعدى ، وكيف يقهر الزمن والحدود الأرضية »

بعد هذا تأتي أوراق مكتوبة بلغة مشفرة ، ومعها - فيما بدال ( وارد ) - مفتاحها ، ثم العبارة « جوزيف كوروين .. حياته وأسفاره بين العاملين 1678 و 1687 .. إلى أين سافر وأين بقى وماذا رأى وماذا تعلم .. »

\*\*\*



الآن وصلنا إلى النقطة التي يؤرخ بها أكثر الأطباء النفسيين الأكاديميين بداية جنون (وارد) .. ويمكن هنا أن نقول إنه رأى أشياء أثارت توتره ، حتى إنه عرض الأوراق على الرجلين دون أن يسمح لهما بقراءة المحتوى ذاته ، وبحماس لا يبرره اهتمامه بعلم الأنساب ولا علم الآثار .. ويبدو أنه عرض الأوراق على الرجلين فقط ؛ ليروى فضولهما الذي قد يقودهما للكثير من الكلام ..

وفي بيته قضى الليل كله يدرس الأوراق ، حتى إن الصباح جاء وهو لم يتحرك .. وحتى وجباته كان يأكلها بعد إلحاح من أمه .. وبنصف عين كان يتأمل وجه (كوروين) في اللوحة المعلقة على الجدار .. واعتاد أن يخفى الأوراق عن والديه وانقطعت ساعات رياضته وجولته اليومية .. أما في وقت النوم فكان يضع الأوراق في خزانة مغلقة

بإحكام .. وبطبيعته المتوحدة الناكسة من الأصل ، لم يجد الأبوان ما يريب في سلوك ابنها لفترة طويلة ..

بدأ الفتى يقرأ كثيرا ، لكن ليس في التاريخ كما اعتاد ، بل في السحر وعلوم الشياطين ، واعتاد أن يسافر إلى (بوسطون) ؛ لبحث في مكتبتها وبيتها وكتبها غريبة .. كما أنه كان يستقل القطار إلى (سالم) ؛ لبحث في مكتبة جامعة (إسكس) عن مراجع أخرى .. وبدأ يهتم بآماكن المقابر القديمة في المدينة ، وبالطبع بدأ تحصيله في الدراسة يتدهور ، وإن كان لم يرسل في أى امتحان بعد ..

وفي مايو استدعى أبوا (تشارلز وارد) الدكتور (ويليت) كي يراه ويتكلم معه .. ولم تكن مقابلة مثمرة ؛ لأن الفتى كان متمالك الجأش مسيطرا على الحقائق .. وبرغم أنه قليل الكلام يصعب حصاره ، فإن الطبيب عرف منه قبسا من الأمور التي تشغل باله .. إن الأوراق التي وجدها عظمة الأهمية ، وتمثل للبشرية صدمة تماثل الصدمة التي أحدثها

(أينشتاين) ذاته ، لكن لا يمكن استيعابها إلا  
بالاعتماد على علوم لم تعد مطروقة هذه الأيام ..  
عليه أن يتعلم سريفا تلك الفنون التي يجب لمن  
يدرس أوراق (كوروين) أن يجيدها .. وقال إن قبر  
(كوروين) قد أزيل من عليه اسمه ، لكن بعض  
النقوش قد بقيت إهمالاً ، وهذه النقوش رسمت  
بعضاية طبقاً لأوامر (كوروين) نفسه ، ومعنى هذا  
أنها هي مفتاح البحث .. ويبدو أن (كوروين) لم  
يرد أن تموت أبحاثه معه ..

بالطبع كان الطبيب رجل علم ؛ لذا قاوم الانطباع  
القوى بأن عيني الصورة المعلقة فوق المدفأة  
تتابعان (تشارلز دكستر) كلما مشى في الغرفة ..

أما وقد طمان الطبيب الوالدين أن ابنهما لم  
يمرض بعقله ، وإتاما هو بصدد كشف هاتل ، فقد  
تقبل الأبوان بشكل غير متوقع رغبة ابنهما في ألا  
يذهب إلى الكلية ثانية .. قال إنه يرغب في دراسة  
ما هو أكثر أهمية بكثير ، وإنه راغب في السفر  
للخارج بحثاً عن مصادر معلومات معينة .. وهكذا

- في سن السابعة عشرة - صار (وارد) طبيباً ،  
وقد منحه الأب فرصة ثلاث سنوات يجرى فيها  
أبحاثه ، ويزور المقابر القديمة التي يريدها ..

وفي عام 1923 ورث الفتى ثروة صغيرة من  
إحدى جداته ، فأعلن أنه راغب في السفر إلى  
(ليفربول) .. ووعد أبويه بخطابات منتظمة طيلة  
إقامته في العالم القديم .. فلم يجد الأبوان المذهولان  
إلا القبول ..

عام 1924 أرسل مذكرة صغيرة تقول إنه سيرتحل  
إلى باريس ؛ بحثاً عن مخطوطات في المكتبة القومية  
هناك .. مرت ثلاثة أشهر ظل يرسل الخطابات من  
عنوان في شارع (سان جاك) . بعد هذا انقطعت  
الخطابات ، ثم - في أكتوبر - جاء الخطاب التالي من  
(براج) ، حيث قال إنه يستجوب رجلاً عجوزاً يملك  
عدداً هائلاً من مخطوطات العصور الوسطى .. ثم  
في يناير جاء خطابه التالي من (ترنسلفانيا) ، حيث  
هو في ضيافة من يدعى بالبارون (فرينكزي) ..  
وفي مايو يكتب لأبويه ينصحهما بعدم السفر للحاق

به في أوروبا ؛ لأن قلعة البارون لا تناسب الزوار  
أهلاً ، والبارون نفسه ليس من النمط الذي يروق  
لأهل (نيوإنجلند) المحافظين الطيبين ..

ولم يعد الفتى إلى (برفدينس) إلا في يناير  
1926 ، وكان ذلك في المساء .. حيث راح الفتى يطل  
برأسه من العربة ، يلثم الشوارع التهاماً ..  
(بروفدينس) من جديد ! حيث كانت طفولته ..  
الأرض التي ارتحل من أجل كشف أسرارها ، وعاد  
لأنها تناديه ..

لقد عاد (تشارلز دكستر وارد) أخيراً إلى  
وطنه ..

\*\*\*

3

ثمة مدرسة من الأطباء النفسيين تعتبر أن رحلة  
(وارد) إلى أوروبا هي بداية جنونه الحقيقية ..  
ولكن د. (ويليت) يصر على إنكار هذا الزعم ،  
ويؤكد أن الجنون حدث بعدها ، وإتاما غريبة  
تصرفات الفتى تعود لأمر غريبة تعلمها في  
الخارج .. فقط ما أعطى انطباع الجنون لم يكن  
سوى أصوات غريبة ، تنبعث من صندوق بيت  
(وارد) حيث المعمل ، الذي راح يحبس نفسه فيه  
أكثر الوقت .. وبرغم أن هذه الأصوات كانت تخرج  
من حجرة (وارد) ، إلا أن في لحنه وصوته ما يثير  
الرغبة في قلب كل من يسمعها ..

ولوحظ أن (نيج) - القطة السوداء المحبوبة -  
كانت تقوس ظهرها حين تسمع هذه الأصوات ..  
وكانت الروائح المتبعثة من المعمل أحياناً منفرة  
جداً ، لكنها في الأغلب عطرية ذات خاصية  
مدوخة .. والأسوأ هو أن الفتى صار يشبه صورة



جده المعلقة على المدفأة أكثر فأكثر .. وكلما زاره الطبيب كان يجد عسراً بالغاً في الوصول إلى نفسه ، وكان يرى رسوماً بالطبشور تم محوها على الأرض .. يرى نجومًا خماسية ودوائر غريبة ..

وفي العام 1927 ازدادت الأقاويل عن جنون (تشارلز ديكستر وارد) ، وصار عسيراً إبقاء الخدم في الدار .. وازدادت طقوس السرية والانعزال ، حتى إنه صار ينام في المعمل ويأكل فيه ، فلا يخرج إلا نادراً لجلب بعض الكتب من المكتبة .. وفي ليلة تأخر فيها بالخارج حتى الفجر ، استطاعت الأم أن ترى عربة تقف أمام الباب ، يخرج منها أربعة رجال يحملون صندوقاً طويلاً مغلقاً ، ويدخلونه إلى البيت ..

بعد يومين تخلص (تشارلز) من الجريدة اليومية قبل أن يقرأها أحد من أهل البيت ، وفيما بعد استطاع د. (ويليت) أن يعرف تاريخ اليوم بدقة ، وذهب إلى مكتب الجريدة ليراجع النسخة المختلفة ، وكان المكتوب فيها هو :

ملاحظة بعض نيتي اليوم

اكتشف (روبرت هارت) الحارس الليلي في المدفن الشمالية مجموعة من الرجال ومعهم سيارة في القدم مكان بالمقابر ومن الواضح أنه باعهم قبل أن يحقق هدفهم .. قد حدث هذا في الرابعة صباحاً حينما سمع الحارس صوت محركة .. ولما سمع المتسائلون صوت خطواته وضعوا مسرعين صندوقاً في هويتهم ، وفروا قبل أن يلحق بهم .. ولما لم توجد أية مقابر منبوذة فإن (هارت) يؤكد أنهم كانوا يحملون دفن الصندوق الذي معهم .. وقد رجح رجال الشرطة أن هؤلاء من مهربي الخمور .. وقد حاولوا دفن بضاعتهم في حفرة صيقة ، وهذا رجال الشرطة هناك

في الأيام التالية ازداد (تشارلز) عزلة وغموضاً ، وازدادت الضوضاء والروائح الغامضة المنبعثة من المكان ..

وشعر أبواه و د. (ويليت) بحيرة بالغة إزاء ما ينبغي عمله أو التفكير فيه ..

وفي تلك الليلة الغريبة تعالت صرخات (وارد) من حجرته ، وتعالى نباح في المدينة ، وهو نباح

قوى إلى درجة أن الصحف تكلمت عنه في اليوم  
التالى ، وسمعت الأم المذعورة يقول بالحرف :

- « دسميس جيبس يون دوسيف دومما إيتيموس ! »

ولم تغب عنها دلالة هذه الكلمات ، فقد حكى لها  
( تشارلز ) - فى الأيام الخوالى التى كان يخبرها  
باكتشافاته فيها - أن هذه هى الكلمات التى تصاعدت  
من مزرعة ( كوروين ) ، فى الليلة التى قتل فيها ..  
والآن بدأ ينشد شيئاً بدا لها مثل :

- « بى ماش بوج سونوث هى إيجيب نرودام .. »

وراح الصوت يعلو أقوى وأقوى .. هرعت الأم  
بكل ما تشعر به من ذعر ، وكل ما فى أمومتها من  
قوة ، تفرع الباب فى إصرار لكنها لم تتلق إجابة ..  
ولكن بعد قليل سمعت صرخة شيطانية مريعة تأتى  
من الداخل .. هنا فقدت الوعي ، وإن لم يكن  
بوسعها فيما بعد أن تقدم سبباً محدداً ..

وجاء ( وارد ) الأب من عمله ، ليجد الخدم  
المذعورين يخبرونه أن الأم تقف عند باب ابنها ..

هرع إلى هناك فوجدها ممددة على المدخل فاقدة  
الرشد .. هرع يرش وجهها بالماء البارد ، حين  
سمع شيئاً كاد يجعله فى نفس حالتها ..

فمن وراء الباب كان هناك صمت .. لكنه ليس  
صمتاً تاماً .. كانت هناك محادثة خفيفة لا يمكن  
استيعاب مقاطعها ، لكن شيئاً فيها يثير الفرع فى  
النفس .. محادثة لها طابع السؤال والجواب ..  
والصوت الآخر لا يمكن أن يخرج من حلق  
( تشارلز ) أبداً ، مهما بلغت براعته فى التقليد ..

حمل الأب زوجته مسرعاً إلى الطابق السفلى قبل  
أن تميز حرفاً من هذه المحادثة .. وقرر أن يتخذ  
مع ابنه إجراءات حازمة ، فمهما بلغت أهمية أبحاث  
ابنه ، فهى قد بلغت درجة خطرة تهدد السلام  
النفسى لهذا البيت .. لا بد أن الفتى قد تخلص عنه  
عقله تماماً ؛ لأنه ما من تفسير لكل هذه الصرخات  
الجنونية والمحادثات الخفيفة مع لآحد .. ولو لم  
يوقف هذا كله ، فلنصوف تهلك مسر ( وارد ) ، ويفر  
الخدم جميعاً ..

وحين دخل الأب غرفة ابنه ، كان أول ما لاحظته  
هو أن شيئاً ما ليس فى مكانه .. دار بعينه فى  
المكان ، ثم أدرك أن الصورة التى على للمدقاة ..  
صورة (جوزيف كوروين) .. لم تعد هناك .. لقد  
تمزقت .. تحولت إلى أشلاء وتناثرت أجزاؤها فى  
كل صوب على الأرض ..

\*\*\*

## الفصل الرابع

### تحول وجنون

1

فى الأسابيع التالية استمر (دكستر وارد) فى  
نشاطاته الليلية المصحوبة بصخب عال ، أو صوت  
محاورات مع طرف مجهول ، وفى كل مرة كان الأب  
يكتفى باللوم ، بينما ابنه يقدم وعوداً واهية .. وفى  
الآن ذاته حدثت حادثة معينة فى مقبرة البلدة ، تتعلق  
بنبش قبر من يدعى (عزرا ويدن) .. وقد أخرج  
المجهول جثته - أو ما تبقى منها - ومزقها بالفأس  
تمزيقاً .. لم يعرف أحد الفاعل ، وإن كانت آثار  
الأقدام التى وجدوها جوار القبر تدل على حذاء رجل  
ثرى .. لم يعرف آل (ويدن) سبب هذا ولم يتهموا  
أحدًا ، أما حارس المقبرة فذكر الشرطة بحادث  
مماثل منذ شهر ، لكن الشرطة استبعدت وجود  
علاقة بين الحادثين ..



فيما بعد ربط الأطباء النفسيون بين هذا الحادث والشاب (تشارلز دكستر وارد) ، كما أنهم ربطوا بينه وبين حوادث مص الدماء التي تكررت في المنطقة مؤخراً .. إن هذه الحوادث حديثة جداً وشهيرة بحيث لا تحتاج إلى شرح مفصل .. لقد بدا أنها تستهدف ضحايا متباينى السن والنوع ، وبدا أنها تستهدف منطقتين : (نورث إند) قرب بيت آل (وارد) ومزرعة (بوتكست) .. لقد هوجم عابرو الطريق وأصحاب المنازل ذات النوافذ المفتوحة ، ومن ظلوا أحياء تحدثوا عن وحش نحيل رشيق ، كان يفرس أسنانه فى حناجرهم أو أذرعهم ، ويمتص الدماء بنهم ..

وقد رفض د. (ويليت) فى إصرار أن يربط بين (تشارلز وارد) وهذه الحوادث ، وقال : «لم يكن (وارد) قادراً على هذه الأفعال ولم يذق طعم الدم قط .. لقد تورط فى أمور مريعة دفع ثمنها غالياً ، لكنه ليس غولاً ولا وحشاً» .

وساعت حالة الأم كثيراً ، وتدهور جهازها العصبى ، مما دفع الطبيب إلى أن يطلب إرسالها إلى

إحدى المصحات البعيدة . ونصح الأب والابن ألا يرسلوا لها إلا خطابات تحوى كل خبر سعيد ..

وربما كان هذا هو الشيء الذى أنقذ حياتها ..

بعد هذا اتخذ (وارد) عدته كى يشتري مزرعة (بوتكست) .. وألح إلحاحاً شديداً على السماسرة ، حتى اشتراها بعد جهد ، وبثمن باهظ من مشتر متردد قليلاً ..

وسرعان ما نقل كل متاعه وحاجياته إليها فى عربة ، تحت جناح الليل .. وكان متاعه يتكون من أجهزة معمله وكتبه الرهيبة .. وسرعان ما بدأ يستقر هناك ويقضى فترات أطول ، واتخذ له رفيقين ، أحدهما برتغالى شرير الشكل نصف هجين اسمه (جوميذ) ، والآخر رجل أكاديمى من زملائه له لحية مصبوغة وعوينات سميقة ، عرف الجيران أن اسمه د. (ألين) ..

ولقد راحت الإشاعات تسرى فى البلدة عن التجارب الكيميائية الغامضة التى يقوم بها (وارد) ،

وعن كميات اللحم الضخمة التي تجيء من الجزائر ،  
وعن أصوات الاستغاثة والهلع التي تصدر من  
المزرعة ليلاً .. وربط القوم بين هذه المزرعة وبين  
وباء مصاصي الدماء ، الذي اجتاح المكان في دائرة  
مركزها هو المزرعة ..

ظل ( وارد ) يعيش تحت سقف أبيه ، وازداد  
ضعفاً ونحولاً .. ولم تبد قصصه هذه المرة مقتعة ،  
وهو يحكى للدكتور ( ويليت ) عن بحوثه المستقبلية  
العظيمة .. وحتى هذه اللحظة كان د. ( ويليت )  
يصر على أن الفتى عاقل تماماً ..

في 9 فبراير 1928 ، تلقى د. ( ويليت ) من  
( تشارلز ) خطاباً يعتبره ذا أهمية فائقة ، لكن د.  
( لايمان ) يصر على أن هذا الخطاب نموذج لحالة  
من العته المبكر ( ديمنشا بريكوكس ) . بينما يصر  
( ويليت ) على أن الخطاب هو آخر كلمات عاقلة  
للفتى عاثر الحظ .. ونص الخطاب كما يلي :

8 فبراير 1928

بروفيدنس

عزيزى د. ( ويليت ) :

أشعر أن الوقت قد حان أخيراً كي أكشف ما وعدتك  
به من زمن ، ولن أكف أبداً عن تقدير ما أظهرته  
لى من كرم ، وما منحت لى من ثقة وصبر . على  
أنتى أعترف أنه بدلاً من النصر الذى حسبته لم أجد  
إلا الرعب .. ليس هذا إعلان نصر بل طلب غوث ..  
طلب نصيح لأنقذ نفسى والعالم من هول يفوق كل  
حسابات وتخيلات بشرية .. هل تذكر ما حكيتك  
عن الحملة الليلية على مزرعة ( كوروين ) ؟ يجب  
تكرار هذا الآن .. وعليه يتوقف سلام هذا البلد ..  
سلام القواتين الطبيعية .. سلام البشرية .. وربما  
سلام هذا الكوكب ..

لقد جلبت لعالمنا شيئاً مخيفاً ، والآن من أجل  
الحياة والبشر يجب أن تساعدنى على إعادته إلى  
الظلام ثانية .. لقد فارقت مزرعة ( بوتكست ) للأبد ،  
وعليك أن تتصل كل ما هناك حياً أو ميتاً ..

ولا تصدق من يقول لك إتنى مازلت هناك .. ولسوف  
أفسر لك كل شيء حين تجد لديك سبع ساعات  
متصلة تصفى فيها إلى قصتى كاملة .. نعم .. إن  
القصة بهذا الطول حقا .. إن لدى أربعة رجال من  
وكالة خاصة يراقبون المنزل ، لكنهم ليسوا بهذه  
الكفاءة لأنهم لا يعرفون ما هم بصدد .. تعال إلى  
منزلى ، ولا تتلفن لأننى لا أعرف من - أو ما - يمكن  
أن يعرف ويعرض طريقك ..

بكل جدية ويأس  
تشارلز دكستر ولرد

ملحوظة :

« أطلق الرصاص على د. ( ألين ) بمجرد رؤيته  
وأذب جسده فى الحمض .. لا تحاول حرقه .. »

قرأ د. ( ويليت ) الخطاب العجيب . كانت الساعة  
العاشرة صباحا ، ولم يكن يستطيع تأجيل سماع  
القصة أكثر من هذا .. فقرر أن يتوجه إلى دار  
( وارد ) فى الرابعة عصرا ، وهكذا يمكن إنهاء  
سماع القصة فى العاشرة مساء ..

وفى الرابعة اتجه إلى البيت ، لكنه - لخبية أمله -  
لم يجد الفتى .. قال له أحد المخبرين الواقفين على  
الباب ، أن ( وارد ) الشاب تلقى مكالمة صباح اليوم  
بدت كنوع من التهديد ، وإته راح يردد فى الهاتف  
عبارات من قبيل : « لا ترسل المزيد .. فأنا مرهق »  
و « أنا بحاجة إلى إجازة » و « لا تفعل شيئا قبل أن  
تتفق » .. ثم وضع السماعة وغادر الدار .. وفى  
الواحدة بعد الظهر عاد ليتخلص من بعض الكتب  
على رفوف مكتبته ، وكان صوت البكاء والأنين  
عاليا ، حتى إن الخادم تساءل عن وجود مشكلة ،  
لكن ( تشارلز ) نظر له نظرة جعلت الدماء تجف فى  
عروقه ، ثم غادر الدار من جديد ..

دخل د. ( ويليت ) المكتبة وقضى ساعتين ينتظر  
عودة الفتى بلا طائل .. راح يتأمل رفوف الكتب ، ثم  
توقفت عيناه عند اللوحة التى تفتت وتمزقت فوق  
المدفأة .. الحق أنه لم يحب تلك الصورة قط ،  
وبرغم قوة أعصابه ، فإته شعر كأنما تركت خلفها  
جوا من الشر .. فلم يملك حين غادر الدار أخيرا ،  
أن يشعر بامتنان شديد لكونه يشم الهواء النقى من جديد ..

\*\*\*  
١٢٩



مرت أيام لم يعد فيها الفتى إلى الدار ، واتصل د. ( ألين ) بالأب يخبره أن ابنه منهمك بصدد عدد من الاكتشافات المهمة ، لهذا سيتغيب طويلاً في المزرعة .. لم يتملك الأب شعوره بأن هذا للصوت مألوف يذكره بشيء ما .. وهنا وجد د. ( ويليت ) نفسه حائراً بين تصديق خطاب الفتى ، وبين تصديق زميله الغامض ذي اللحية .. وأخيراً بعد أسبوع قرر قراره على زيارة المزرعة ؛ لمعرفة الحقيقة من فم صاحبها ..

قاد سيارته عبر طريق ( لوكوود ) ، ثم ترجل .. ومشى بين البيوت القليلة هناك ..

قرع الباب بحزم ، ثم تكلم بجرأة مع الهجين البرتغالي المخيف الذي فتح الباب .. قال إنه يجب أن يرى ( تشارلز وارد ) للأهمية ، وهو لن يقبل أى عذر ، ولن يجدى منعه إلا فى جعله يبلغ الأمر إلى

( وارد ) الأب .. تردد البرتغالى قليلاً ، لكن ( ويليت ) كرر أمره بصوت أعلى .. هنا سمع من الظلام صوتاً مبحوحاً يثير الرعب وإن كنت لا تدري لِمَه :

- «دعه يدخل يا ( توتى ) .. يمكننا أن نتكلم الآن ..»

ثم صدر صرير من الأرضية ، فاتضح أن قائل هذه الكلمات لم يكن إلا ( تشارلز وارد ) نفسه .. وتكمن أهمية هذه المحادثة فى أنها المرة الأولى التى يقر فيها ( ويليت ) بحدوث خلل فى عقل ( تشارلز ) ، وللمرة الأولى يعترف بأن هذا العقل كان عقلاً غريباً عن العقل الذى رباه منذ ستة وعشرين عاماً ..

اتحنى الفتى واقتاد الطبيب إلى الداخل ، وراح يتحدث بذلك الصوت المبحوح الغريب الذى حاول أن يفسره :

- «قد أصبت بالدرن من هواء النهر المشنوم هذا .. أعتقد أنك موفد من أبى لترى مآلهاتى ، وإبنى لآمل ألا تخبره بما يقلقه ..»

سأله د. (ويليت) عن خطابه الأخير المذعور ،  
وهو يتمنى لو لم يكن المكان مظلمًا إلى هذا الحد ..  
فقال الفتى :

- «كنت سأطرق لهذا .. إتنى فى حالة عصبية  
سينة ، وأقول وأفعل أشياء غريبة بلا تفسير .. لكنى  
أؤكد لك أننى لا أفعل شرًا ، وإتنى لأرجو أن تمهلنى  
سنة أشهر أخرى .. إتنى أتعلم أشياء مهمة لكن  
ليس من الكتب .. لقد كان سلفى يملك هذه القدرات  
حين جاء البصاصون ودمروه .. أنا الآن قريب جدًا  
من هذا المستوى .. د. (ألين) رجل كريم ، وإتنى  
لأعذر عن أى شيء سيقالته بصدده .. إنه ذو  
عون عظيم لى ، ولأتنى كنت أهاب العمل ، فقد هبته  
هو أيضًا بنفس القدر .. ويوسفنى أنه ليس هنا الآن ؛  
لأنه يقوم بعمل ما فى مكان آخر »

نظر له د. (ويليت) ولم يجد ما يقول .. لكنه  
كان أميل إلى تصديق الخطاب ؛ لأنه أقرب إلى  
(وارد) الذى عرفه ، منه إلى تلك المحادثة الغريبة  
المريبة .. وقد لاحظ فى حوارهِ مع الفتى ، أن الأخير

بدأ أكثر اهتمامًا وتفاعلاً مع الماضى بشكل غريب ..  
أكثر بكثير مما يمكن أن يهتم دارس تاريخ ، لكنه كان  
يتحدث برغمة عن الحاضر ، ويبدل جهده كى يقتنع  
د. (ويليت) بأن كل شيء على ما يرام ، ويمكنه أن  
يرحل فلا يرجع .. بل إنه دعاه ليرى عمله ومكتبته  
فى المزرعة ..

أدرك (ويليت) على الفور أن هذه الكتب  
والمعدات القليلة ليست سوى غطاء خداع واه  
جدًا .. بالتأكيد توجد فى مكان ما مكتبة ومعمل  
حقيقيان ، ولكن أين ؟

فى النهاية - وقد فشل فى العثور على شيء  
لا يعرف كنهه - عاد إلى (وارد) الأب وأخبره بكل  
شيء .. قرر الأب ألا تعرف الزوجة بأى شيء ، وقرر أن  
يزور ابنه بنفسه زيارة مفاجئة ليرى ما هناك .. لكن  
الزيارة لم تثمر عن أية معلومات ذات قيمة ، ما عدا  
أن الفتى صار أسوأ .. ولم يعد يحتمل أى نوع من  
للضوء ، كما أن صوته المبحوح جعل من سماعه  
شئنا عسيرًا ومخيفًا معًا .. والأسوأ هو أن موظفى

المصارف جاءوا إلى البيت يتسائلون عن سبب  
تغير توقع الفتى على الشيكات ، بحيث لم يعد يشبه  
توقعه الأصلي أبدًا ، وقد زعم الفتى لمن قصدوا  
المزرعة أن مرضه العصبي جعل يده ترتجف في أثناء  
الكتابة .. ولاحظ الموظفون أن الفتى صار يبلغ  
الجهل بالأمور المالية ، التي كان يعالجها بعناية منذ  
شهر أو أكثر .. لاحظوا كذلك أنه تغير .. كانوا  
يعرفون أنه مولع بالآثار والتاريخ ، لكن مهما بلغ  
ولعه ، فلن يصل الأمر إلى أن يستعمل لغة قديمة  
عجبية ، ويأتى بإيماءات غفل عنها الزمن ..

في النهاية - في شهر مارس - جاء د. (ويليت)  
بثلاثة من الأطباء النفسيين ، وذهبوا مع الأب  
ليقابلوا الفتى ، ويطلبوا منه أن يقبل دخول  
المصحة .. من الغريب أن الفتى لم يقاوم وقبل  
الفكرة على الفور...

\*\*\*

وفي المصحة الخاصة الجميلة التي يملكها  
د. (ويت) على الساحل في (كوناتيكت) ، شرع

الأطباء يفحصون الفتى بعناية .. هنا فقط لاحظوا  
التغيرات الجسمانية التي طرأت عليه ؛ التمثيل  
الغذائي البطيء والجلد الغريب والانعكاسات العصبية  
المحيرة .. وكان أفضل الملاحظين بالطبع هو  
د. (ويليت) ؛ لأنه يعرف الفتى من طفولته .. حتى  
الوحمة الشبيهة بالزيتون على الردف قد اختفت ،  
وظهرت وحمة على صدره لم تكن هناك قط .. وقد  
ذكرت الطبيب بالعلامات التي يرسمونها للسحرة في  
بعض بقاع الأرض النائية .. ضايقه كذلك وجه الفتى  
دون أن يعرف لذلك سببًا ، حتى تذكر فجأة أن فوق  
عين الفتى لليمنى توجد ندبة كالتى رآها في صورة  
(جوزيف كوروين) ..

في الآن ذاته عكف الأب و(ويليت) على مطالعة  
بريد الفتى الذى يصل إلى المزرعة ، وقد استلقت  
نظرهما هذا الخطاب الغريب القادم من  
(ترانسلفاتيا) موجهًا إلى د. (ويليت) :



جاءني عشرون جندياً للتحقيق معي فيما يقول  
الريفيون عني .. هؤلاء الرومانيون يضايقونني  
حقاً ، في الوقت الذي كان بوسعك فيه شراء أى  
مجرى ببعض الطعام والشراب<sup>(١)</sup> ..

سرني أنك تطلب أعداداً أقل هذه الأيام ؛ لأن  
الحراس من غير رأس خطرون ، ويمكن أن يجلبوا  
المتاعب لو وجدهم أحد عندك .. هل مازال فتاك  
خائفاً ؟ لو وجدته كذلك فمن الصالح أن تضع نهاية  
للأمر .. إن لديك اليدين القويتين والمسدس  
والسكين ، والقبور ليست عسيرة الحفر ..

خلال عام سأحصل على العدد الذي أريد من  
تحت (مفيس) ، عندها لن تكون حدود لما  
نستطيع عمله .. وتذكر أنني أفوقك خبرة بمائة  
وخمسين عاماً .

معرو كان أى حادث .. »

(١) مرسلات كاتب تتبع المعركة لم صارت تتبع رومانيا في هذا الوقت

## الفصل الخامس

### كابوس وطوفان

1

والآن تجيء سريعاً تلكم الخبرة المروعة ، لتترك  
أثارها على وجه من يعرف باسم (مارينوس بكنل  
ويليت) ؛ وتضيف عقداً إلى سنه المتقدمة أصلاً ..  
لقد أدرك مع الأب أن هناك شراً مستطيراً يحرق  
بالعالم ، أقدم بكثير من سحر (سالم) .. وقد  
استحوذ هذا الشر على رجلين على الأقل منهما  
(تشارلز وارد) .. أما ما يقوم به هؤلاء فقد صار  
واضحاً الآن من الخطابات والحقائق التي بدأت  
تتجمع .. إنها يمارسان (النكروماتسى) ببراعة  
مستعينين بخبرة غولين من (رومانيا) و(وبراج) ،  
وهما اللذان استعان بهما (تشارلز) في أبحاثه  
السابقة .. يسطوان على المقابر القديمة حيث يرقد  
أحكم وأعظم الرجال ، أملاً في أن يستردا من الغبار بعض  
بقايا العقل والوعى اللذين كانا يحركان هؤلاء ..

لقد وجدنا طرقاً آتمة لإعادة الحياة إلى تلك العقول ، ربما في نفس الجسد أو جسد آخر ، وهذا يذكرنا بكلام (بوريلوس) عن استحضار (أملاح جوهريّة) من بقايا الجثث .. ومن هذه الأملاح يمكن الحصول على الحكمة مقطّرة .. ثمّة معادلة لاستحضار هذه الأملاح ، ومعادلة لإعادة التراب إلى حالته .. ومن الواضح أنها أجادا هذا الأسلوب وصارا قادرين على تعليمه ..

وارتجف د. (ويليت) ود. (وارد) وهما ينتقلان من استنتاج مخيف إلى آخر .. ماذا عن (تشارلز) ؟ أية قوى مخيفة وصلتته من جده (جوزيف كوروين) وجعلت عقله يعيش في الماضي تماماً ؟ من الواضح تماماً أنه وجد قبر (كوروين) .. إن حادثة سرقة المقبرة أمر لا يمكن نسيته بسهولة ..

من الواضح كذلك أن (تشارلز) استدعى شيئاً ما فجاءه .. هذا هو سر الصوت الذي سمعه الأب يتحدث مع (تشارلز) خلف باب الغرفة .. أليس هذا

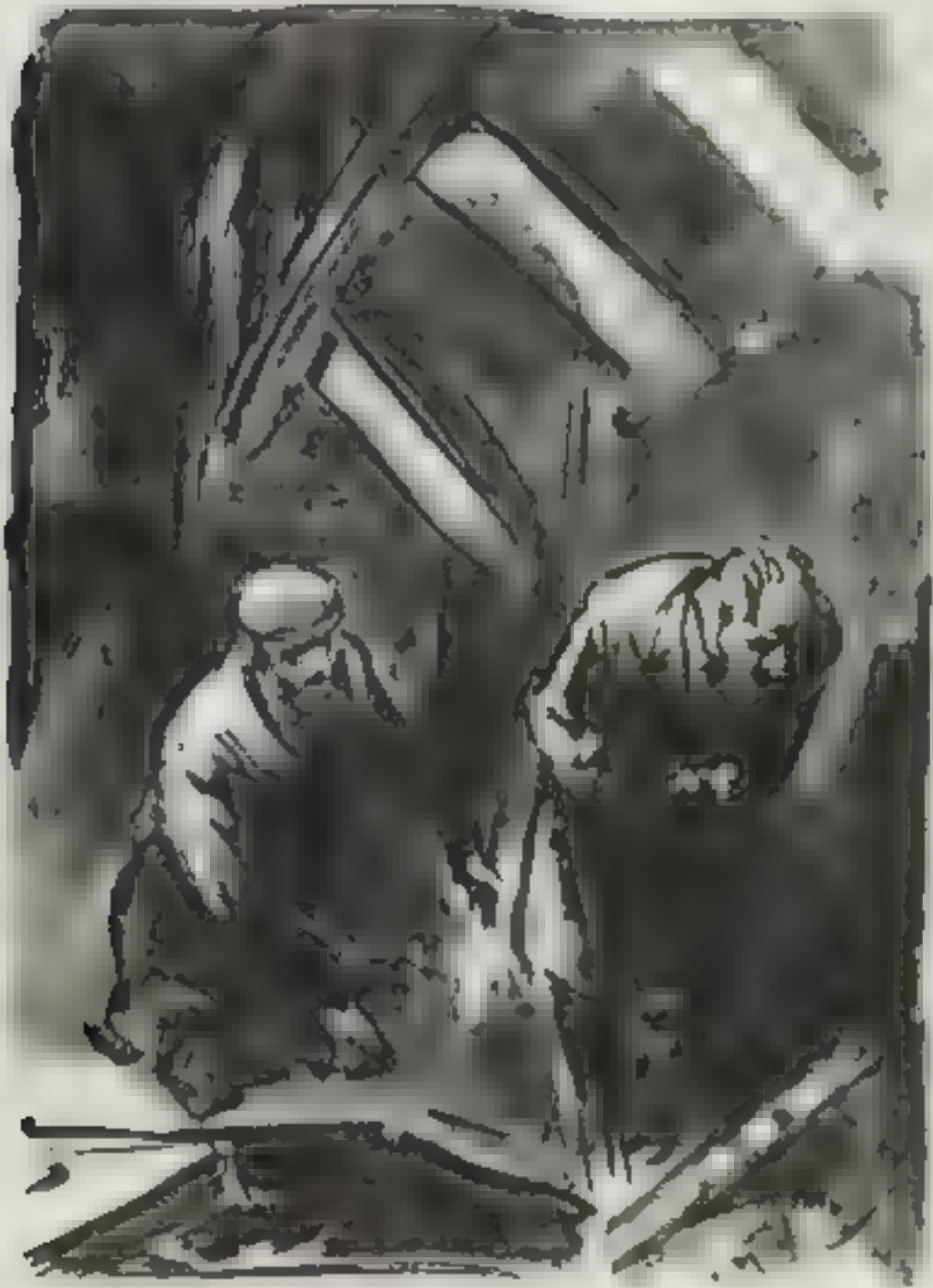
الصوت هو نفسه صوت د. (ألين) حين تحدث إليه هاتفياً ؟ ترى أية حضرة مفزعة لبث نداء (تشارلز) خلف ذلك الباب المغلق ؟ إن د. (ويليت) يشعر - بل ويعرف - الآن أن عقل (جوزيف كوروين) قد عاد يمارس الوجود على هذه الأرض ..

وقرر الرجلان أنه مادام من المؤكد وجود اتفاق سرية تحت المزرعة ، فإن من واجبهما استكشاف هذا المكان بعناية .. وقررا أن يحضرا حقيبتين تحويان ما يلزم للحفر والتنقيب ..

وفي صباح السادس من إبريل وصل الرجلان إلى المزرعة .. كانت خالية الآن ، وكانا يعرفان أن العمل الحقيقي يبدأ في القبو .. وكان (ويليت) يعتقد أن الطريق الصحيح للبحث هو أن يفكر بنفس طريقة (وارد) الشاب ، الذي بحث عن الأقبية للمرة الأولى ، دون أن تكون لديه فكرة عن مكانها إلا الإشاعات .. وبالمزيد من التدقيق ، وباستعمال طريقة الاستبعاد ، استطاع أن يجد جزءاً منزلقاً من الأرضية .. وتحتّه وجد غطاءً من الخرسانة له حلقة يفتح منها ،

وكان سهل الفتح .. لكنه لاحظ شيئاً غريباً على الأب .. كان يتأرجح أماماً وخلفاً كدن ثقيل ، وأدرك (ويليت) أن هذا بسبب الهواء المسموم القادم من الفتحة ، لذا لم يترك شيئاً للظروف .. أخرج الرجل من المزرعة ، وأرغمه على أن يستقل سيارة أجرة تعود به إلى داره ، ثم عاد وحيداً إلى تلك الفتحة في الأرضية .. أخرج كشافاً ولف منديلاً حول أنفه .. ثم تفحص الفتحة جيداً ، فوجد أن بداخلها درجات سلم معدني وسط جدران من خرسانة ، بعدها تبدأ درجات صخرية تهبط إلى أسفل ..

\*\*\*



ثم عاد وحيداً إلى تلك الفتحة في الأرضية .



لم تكن الدرجات حلزونية ، ولكنها مستمرة لأسفل بلا انقطاع .. وقد عد الرجل ثلاثين وهو يهبط ، حين سمع صوتاً غريباً .. عندها كف عن العد .. صوت من خوارق الطبيعة التى ما كان لها أن توجد .. هل يمكن أن ندعوه لحماً يتألم من دون عقل ؟ أى صوت هذا ؟ لقد بدأ واستمر إلى ما لانهاية ..

حاول ألا يفكر فى ( جوزيف كوروين ) وتجاربته الرهيبة ، وراح يستكشف المكان الذى وصل إليه .. إنه مجموعة من الغرف ذات الأسقف الحجرية المنحوتة ، والتى تمثل ثروة لهواة دراسة المعمار .. هناك غزو هائل من الغبار وخيوط العنكبوت ، لمكان لا يبدو أن قدماً قد دخلته منذ قرن ونصف .. أخيراً وصل لغرفة على شىء من الحداثة ..

كانت هناك رفوف كتب ومواقد زيت ومصابيح فى كل مكان .. وكان يريد أن يجد الأوراق المشنومة ،

تلك التى أخرجها ( وارد ) الشاب من وراء الصورة فى ( أوردن كورت ) .. لكن كيف يمكن هذا مع كل هذه الأوراق ؟ إن الأمر يحتاج إلى أيام وشهور .. أخيراً وجدها فى خزانة من الماهوجنى ، وعرفها لأنه سمع شهادة العاملين اللذين شاهداها مع ( وارد ) من قبل .. رأى هذه العبارات مكتوبة إلى جوار رسم تين يحدد اتجاه القراءة الصحيح من رأسه إلى ذيله ، وكان المكتوب عند الذيل هو :

بى نساء ، بوج سونوت

هى لبيب

فاى نرووج ، بواله ، جيب لبيب

زرو

كان شىء ما فاتنا فى هذه العبارات ، حتى إنه وجد نفسه يرددتها مع أنفاسه دون أن يدري .. ثم قرر أن عليه أن يجد المعمل .. عليه ألا يفكر فى كل البحارة الذين اختفوا ، وكل القبور التى انتهكت ، وكل الأهوال التى رآها الرجال الذين هاجموا هذا المكان من قرن ونصف .. المشكلة هى أن الضجيج

يتعالى وثمة ما يشعرك بأنه قادم من أسفل .. بينما  
العفن يزداد قوة .. هذه قاعة تحيط بها درجات  
حجرية ، وثمة فتحات موحية في الأرضية ..

في النهاية وجد غطاء على الأرض ثبت به  
حلقة معدنية .. مد يده ورفع الغطاء ، فتصاعدت  
أخبث رائحة شمها في حياته ، وفي هذه المرة اختلط  
الأنين بصوت ضربات مكتومة .. مد ذراعه  
بالكشفاف ليرى أى شيء يرقد في قاع تلك الحفرة ،  
فراى شيئاً أسود يصعد ويهبط في جنون محموم  
على جدران الحفرة التي تبعد عشرين قدماً .. أياً  
كان هذا الشيء فلا بد أنه جانع بعد شهر كامل منذ  
دخل (وارد) المصححة .. لهذا السبب كان  
(كوروين) يتناع كل هذه الكميات من اللحم التي  
لفتت نظر القرية ..

قرب رأسه ونظر نظرة أخرى ، وهي النظرة التي  
ندم عليها فيما بعد كثيراً ، لأنها أنهت تاريخه  
المهني كجراح عظيم ، وجعلته أقرب إلى المجانين  
في مصحة د. (ويت) .. سقط المصباح من يده

التي فقدت توافقها العضلى ، وسمع صوت الأسنان  
في قاع الحفرة وهي تمضغ المصباح .. صرخ  
وصرخ كما لم يحسب نفسه قادراً .. ولما كانت  
قدماه عاجزتين عن السير ، فقد راح يزحف على  
ركبتيه مبتعداً .. أما ما رآه فشيء لا يمكن وصفه ..  
كان أقرب إلى نقش على ضريح كابوسي لكنه  
حتى .. كان كياناً مشوهاً غير مكتمل لا يمكن أن  
يكون ابن الطبيعة ..

راح العرق يسيل منه وهو يزحف في الظلام  
مذعوراً .. وهنا رأى ما لن ينساه أبداً .. كانت  
واحدة من تلك الفتحات في الأرضية تنزاح لأعلى  
ببطء .. وكان يعرف أن الشيء الذي رآه لن يستطيع  
تسلق الجدران الزلقة ، لكنه كان يخشى أن يمسك  
بقدمه ..

راح يزحف في الظلام مردداً الصلوات .. باحثاً  
عن أى ضوء في الظلام الدامس من حوله .. ضوء  
يمت لما تركه في المكتبة .. كان يتحسس الأرض  
في ذعر خشية أن يقع في فتحة لا يراها ، بينما

الرائحة الخائفة وصوت الأئين يصمان مسمعيه ..  
والمشكلة هي أنه لم ير ما في باقى الفتحات لحسن  
حظه ! ذات مرة لمست يده الحلقة التى فتحها من  
قبل فجذب يده فى هلع ..

أخيراً رأى ضوءاً خافتاً من شمعة كان قد أشعلها  
فى المكتب ، وتلفظ آخر أنفاسها .. وقد جعله هذا  
يثب على قدميه ؛ لأن هذا الضوء هو آخر أمل له  
فى الخروج من هذا التيه الجهنمى ..

وفى النهاية بلغ الشمعة المحتضرة فى غرفة  
مكتب ( وارد ) .. الشمعة التى أنقذت حياته ..

\*\*\*

3

ملأ المصابيح بالزيت وجيوبه بالشمع والثقاب ،  
ثم قرر أن يواصل استكشاف المتاهات المعقدة ..  
هذه مهمة كريهة لكن لا بد من عملها ..

كان معمل ( وارد ) هو ما يريد .. فى النهاية  
وصل إلى غرفة بها مجموعات غريبة من  
القوارير ، بعضها مستدير وبعضها طويل .. لاحظ  
أن للقوارير مصفوفة بعناية على جانبى الغرفة ..  
وكان بعض القوارير يدعى ( كستودز ) وبعضها  
يدعى ( ماتريا ) ، كما كتب على لافتة خشبية هناك ..  
كانت كل زجاجة مسدودة بمعداة من معدن ، وعلى  
كل منها رقم ربما يشير إلى مفتاح فى كتالوج ما ..  
تناول قارورة من كل نوع وفتحها ، فلم يجد بها  
إلا مساحيق ذات ألوان مختلفة .. ولاحظ أن الألوان  
لا تختلط .. كما لاحظ أن المسحوق لا يلتصق أبداً ..  
لقد سكب بعضه على كفه ، ثم أعاده إلى القارورة  
فلم يبق شيء على كفه .. ( كستودز ) اللاتينية معناها



(الحرس) و (ماتريا) معناها (المواد) .. لكن ما معنى هذا؟ هنا جاءت له لمحة إلهام .. الحرس هم المسئولون عن الحراسة والتعذيب والاستجواب ، أما المواد فهي بقايا الطعام الذين اختطفتهم عصابة السحرة هذه من قبورهم ، وبطريقة أئمة ضالة يتم استجواب بقاياهم لمعرفة ما يملكون من حكمة ..

واقشع جسد (ويليت) وهو ينظر إلى يديه اللتين أمسكتا بهذا الرماد الرهيب !

في قاعة أخرى وجد أدوات تعذيب ، من النوع السائد في عهد محاكم التفتيش ، وجوار الأنوار وجد زجاجتين من النوع المسمى (كستودز) .. كانتا فارغتين طبعاً .. لكنه فهم ما كان يدور في هذه الغرفة الرهيبة ، وعلى الجدار قرأ كلمات بخط قديم كتبت على الحجر ، وكان قد اعتاد رؤية خط (جوزيف كوروين) :

« بي نجاه يوح سوتوث .. هي إيجب هاي نرودام .. »

وهي تقريباً ذات العبارات التي سمعتها الأم من غرفة ابنها في تلك الليلة ، وإن كانت مختلفة قليلاً

حسب ما تنأى لسمع الأم المذعورة وقتها .. أحس بأن هناك اختلافاً غريباً في المقاطع ، ودون أن يدري السبب وجد نفسه يترنم بالكلمات كما يقرأها الآن ، وكما سمعها من الأم ، وكان صوته مريفاً وسط هذا الظلام ، ووسط صوت الأئمن القادم من أسفل :

« بي نجاه يوح سوتوث .. هي إيجب هاي نرودام .. »  
أوهاه ..

لكن ما سر تلكم الريح الباردة التي هبت بمجرد القاء ؟ تارجح ضوء الشموع ، ثم وجد أن القارورة الملقاة على الأرض بمسحوقها الغريب ، قد راح يتصاعد منها بخار كثيف .. يا إلهي الرحيم ! وتذكر الخطابات التي وصلت إلى (كوروين) :

« أقول لك ثمانية : لا تستدع ما لا تقدر على إعادته .. كن مستعداً بكلمات الرقاد طيلة الوقت .. ولا تكف عن الاستيثاق ممن لديك .. »

يا إلهي الرحيم ! ما هذا الشكل خلف الدخان الكثيف ؟

\*\*\*

لم يأمل (ويليت) قط أن يصدق أحد جزءاً من قصته ، لهذا احتفظ بها لنفسه حتى آخر أيامه .. لكن (وارد) الأب صدقها تماماً .. ألم يعاين ما حل بابنه ؟ ألم ير بنفسه البئر كريهة الرائحة ؟ ألم يعد لداره فاقد الرشد ، ويحاول الاتصال بالطبيب طيلة الليل ؟ ألم يقرر هو نفسه أن يدخل المزرعة ، حيث وجد الطبيب ممدداً في فراش بالطابق العلوى ، يتنفس بصعوبة ، وفتح عينيه فقط بينما (وارد) الأب يقتاده إلى السيارة ؟

كل ما قاله الطبيب للأب المندهش هو :

- « هاتان العينان ! تلك اللحية ! إليك عنى ! »

وفيما بعد - فى أكثر الغرف إضاءة وشمساً - جلسا ، وراح الطبيب يحكى للأب المذعور كل شىء حتى لحظة خروج البخار الأخضر من الزجاجاة .. هنا تساءل الأب فى تردد :

- « هل تظن أن الحفر قد يفيدنا ؟ »

لكن الطبيب لم يملك إلا أن يهز كتفيه مؤثراً الصمت .. مد يده فى جيبه بحثاً عن منديل ، فوجد

قصاصة من الورق لها رائحة كريهة ، واضح أنها قادمة من المكتبة الرهيبة تحت الأرض .. وكانت عليها رموز غريبة مع كلمات مختصرة بلغة قديمة مندثرة ، جعلت الرجلين يهرعان إلى مكتبة (جون هاى) الموجودة على المرتفع ..

وفى المكتبة استطاع الرجلان أن يجدا كتباً تتحدث عن اللغات القديمة ، وبالفعل عرفا أن هذه الحروف تمثل طريقة الكتابة الساكسونية من القرن السابع أو الثامن .. ذلك الزمن الذى راح فيه قمر بريطانيا الشاحب يشع على أطلال (كيرليون) و (هكسام) الرومانية ، وعلى أبراج سور (هالريان) .. وكانت تقول بلاتينية بربرية ما معناه :

- « (كوروين) يجب أن يقتل .. يجب أن يذاب جسده فى الحمض .. والزم الصمت قدر الإمكان .. »

ظل الرجلان صامتين يفكران حتى أرغمتهما ساعات العمل بالمكتبة على الانصراف .. من الواضح تماماً أن (كوروين) الذى يجب أن يدمر هو نفسه د. (ألين) .. الرجل ذو العوينات واللحية ؛

لأن هذه هي تقريباً نفس كلمات (تشارلز) المخبولة  
في خطابه القديم .. والآن هذا الخطاب من مصدر  
مجهول يقول الشيء ذاته باللاتينية .. لو لم يدمر  
(ألين) فمن الواجب وضعه حيث لا يؤذى (وارد)  
الشاب .. سواء كان (ألين) هو نفسه أم هو تناسخ  
(كوروين) لو كان شيء كهذا ممكناً ..

\*\*\*

4  
وفي دار (وارد) جلس د. (ويليت) مع الأب  
ينتظران عودة المخبرين الثلاثة الذين كلفاهم  
بالبحث عن (ألين) .. كاتا يجلسان في الطابق  
السفلى ؛ لأن الطابق العلوى قد امتلأ بجو عام من  
الغثيان .. غثيان لم يفهم أحد سببه ، وقال الخدم إنه  
لعنة غامضة جاءت من تلك الصورة الرهيبة  
المتحللة .. جاء المخبرون وقالوا إنه ما من أثر  
للمدعو (ألين) ولا للبرتغالى ، لكنهم وجدوا في  
المزرعة بقايا لحية مصبوغة وعوينات ، مما يدل  
على أن لحيته تلك كانت مزيفة .. وفي القرية كان  
الفلاحون يربطون بينه وبين حواث مص الدماء  
في الصيف الماضى ، أكثر مما يربطون بينها وبين  
(وارد) .. ثم هناك موضوع الندبة على عينه  
اليمنى وصوته العميق الغريب .. وخطه غير  
المألوف في هذا العصر ..



هنا ارتجف الرجلان معاً للفكرة الرهيبة التي  
 خطرت لهما في الوقت ذاته .. من رأى (تشارلز)  
 و (ألين) معاً من قبل في الوقت ذاته ؟ (كوروين) -  
 (ألين) - (وارد) .. كيف تم هذا الاندماج الشيطاني  
 لرجلين من عصرين مختلفين ؟ قام الأب بعمل كان  
 يخشاه ، هو أن أخذ صورة لابنه ورسم لها لحية  
 وعيونات غليظة ، ثم طلب من المخبرين أن  
 يعرضوها على القوم جوار مزرعة (بوتكست)  
 ويسمعوا ما يقولون .. وعاد المخبرون يقولون إن  
 الشبه شديد فعلاً .. ما معنى هذا ؟ لماذا طلب  
 (وارد) في خطابه أن يقتل د. (ألين) ويذاب في  
 الحمض إذن ، إذا كان هو الشخص ذاته ؟ قال  
 الطبيب إنه راغب في الأفراد بنفسه في غرفة  
 مكتب الفتى ، فسمح له الأب ..

مر الوقت ثم فاحت رائحة دخان قادمة من  
 أعلى ، كان الرجل كان يحرق بعض الأوراق ..  
 بعدها هبط إلى الأب وطلب منه ألا يوجه إليه أية  
 أسئلة .. وغادر الدار ..

\*\*\*

ولمدة خمسة أيام ظل د. (ويليت) في داره  
 يستشفى من آثار الصدمة ، ثم إن الخطاب التالي  
 وصل إلى الأب (وارد) :

10 شارع بارنز

بروفيدنس

عزيزي تيودور :

أشعر أن على أن أقول لك شيئاً قبل أن أقوم بما  
 أتوى القيام به غداً .. أنت تعرفني منذ كنت طفلاً ،  
 ولن تفقد ثقتك بي إذا ما قلت لك إن هناك أموراً  
 يجب ألا تثار .. من الخير ألا تحقق أكثر في قضية  
 (تشارلز) .. حين أطلبك غداً سيكون (تشارلز) قد  
 فر من المصحة .. هذا كل ما يجب أن يبقى في  
 ذاكرة المرء .. إنه مجنون وقد هرب .. يمكنك أن  
 تخبر أمه بهذا فقط ، ثم خذها إلى (اتلانتا)  
 للاستجمام .. والله يعلم أنك بحاجة إلى الراحة أنت  
 الآخر .. سأرحل أنا إلى الجنوب ، فلأتسألني أية  
 أسئلة حين أتصل بك ..

إن ابنك في أمان .. بل هو الآن أكثر أمناً مما  
 تظن .. لكنك لن تراه ثانية .. أقول لك بصراحة إنه



مصاب بمرض خاص .. مرض أثر في جسده كما  
أثر في عقله .. لقد ارتاد أماكن ما كان لفان أن  
يرتادها ، وهذه الأماكن التهمت عقله ..

« بعد عام يمكنك أن تعلن وفاة (تشارلز) رسمياً  
وتضع شاهداً على مقبرة أسرتكم باسمه ، بالذات في  
الناحية الشمالية حيث قبر أبيك .. هذا القبر سيكون  
قبر (وارد) الحقيقي .. الذي لم يتلوث والذي ما زال  
يحمل الوحمة على ردفه ، والذي لا توجد آثار  
شيطانية على صدره .. »

« من جديد أكرر أن عليك ألا توجه أسئلة ، واعلم  
أن شرف أسرتك بخير كما كان دائماً .. »

**المخلص : مارينوس وبليت**

وهكذا صباح الجمعة 13 إبريل 1928 ، زار  
(ويليت) الفتى في المصححة العقلية ، ورأى الفتى  
في عيني الطبيب نظرة مخيفة لم يعهدها من قبل ..  
نظرة فيها لون من الانتقام .. قال للفتى :

« لقد بحث الرجال عن د. (ألين) فلم يجدوا  
إلا لحية مستعارة وعوينات .. وهي تناسبك جداً .. »

**قال الفتى في تحد :**

« وما المشكلة في أن يرغب رجل في اكتساب  
شخصيتين ؟ »

« من حقه هذا .. فقط لو كان له حق الوجود  
أصلاً .. »

**ثم أضاف في تصميم :**

« لقد وجدت بعض الأوراق خلف صورة قديمة  
فوق مدفأة .. وقد أحرقتها ودفنت الرماد حيث يجب  
أن يكون قبر (تشارلز دكستر وارد) »

**هب الفتى ثائراً وصاح :**

« سحقاً لك ! من يعرف هذا معك ؟ »

**رفع الطبيب يده في صرامة نافذة وقال :**

« لا أحد .. إن الموضوع يتعلق بجنون وفزع  
لا يقدر بوليس ولا محاكم ولا محامون على التعامل  
معه .. إن لدى خيلاً ، وأنت لن تخدعني يا (جوزيف  
كوروين) .. أعرف كيف خدعت سليل أسرتك



الشباب ، وجعلته يعيدك إلى الحياة ، وكيف قضيت الوقت في معمله تدرس عالمنا المعاصر ، وفي الليل كنت تخرج لتفتتات بالدماء .. وكيف وضعت لحية وعوينات كي لا يتعرف أحد ملامحك .. ثم قتلته وواريت جثته ، ورحلت تمارس حياتك على أنه هو ، وكان المخبرون يرونك خارجاً أو داخلاً فيحسبونك هو .. لكنك قد هلكت من قبل يا (كوروين) ولنسوف تهلك ثانية ..»

هنا صدرت صرخة متشنجة من المخلوق .. وسرعان ما قرر (كوروين) أن يزيح القناع عن حقيقته ، وبدأ يتكلم بصوته العادي المخيف الذي كان يصطنع البحة ليداريه .. وراح يحرك أنامله وهو يلفظ تعويذة مفزعة :

« بير أدوني الويم .. أدوناي جوهوفا .. أدوناي ساباوث .. ميتراتون .. »

هنا فقط بدأ الطبيب يلفظ العبارات التي حفظها عن ظهر قلب .. عيناً في عين وسحراً لسحر ..

العبارات التي تشكل ذيل التتين .. إن رأس التتين استحضر (كوروين) .. فهل يقدر الذيل على إبعاده ؟

ياى نجاه ، يوج سوثوث

هى لبيب

فاى ثرودوج ، يوااه ، جيب لبيب

٩١١

كان التحويل مريعاً .. هو مزيج من المسخ والنوبان ، بدأ بمجرد أن نطق الطبيب اسم (سوثوث) المخيف .. وأغمض الرجل عينيه حتى لا يفقد رشده قبل أن يستكمل العبارات كلها ..

وحين فتح الطبيب عينيه ، وجد أن ما حفظه لم يكن عديم الجدوى .. لم تكن ثمة حاجة للأحماض ، لأنه كما حدث للصورة الملعونة منذ عام ، لقد (جوزيف كوروين) الآن على الأرض ، وقد تحول إلى طبقة رقيقة من غبار رمادى ..

لقد أغلقت قضية (تشارلز دكستر وارد) .

\*\*\*

مارس 1926

هـ. ب. لافكرافت





## خلف جدار النوم

لنستوف نعيش ساعات مفزعة مع (لافكرافت) أعظم كتاب  
الرعب في القرن العشرين .. سوف نعرف سبب خوفنا من  
الهواء البارد ورائحة النشادر .. سوف نرى الشجرة  
العملاقة التي تنمو من ذلك القبر الغريب .. سوف نتحدث  
ههنا عن الذي لا اسم له خوفاً من أن نسمعنا .. سنناقش  
الحالة المرضية الغريبة لـ (تشارلز دكستر وارد) .. سنرى  
تلك الصورة المفزعة في كتاب قديم يكون مهجور .. لنستوف  
نعيش أسوأ كوابيسنا التي لم نعتقد أن نقابلها إلا .. خلف  
جدار النوم ..

37